لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ

مَعْنَاهَا - شُرُوطُهَا - نَوَاقِضُهَا - فَضْلُهَا

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى : ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الطبعة الثانية : ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

الطبعة الثانية : ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ١٣٩١١ /٢٠٠٩م

جمهورية مصر العربية - أشمون - سبك الأحد

جوال : ٠٠٢/٠١٠٣٥٠٣٥٦٣ - ٠٠٢/٠١٨٢٤١٨١٨٥

جمهورية مصر العربية - القاهرة

٢٤ ش الترعة الخمسينية بجوار مسجد الرحمة المهداة ومجمع الشرطة بالأميرية

ت: ٠١١٨٤٢٦٢٠٥ - ٠١٨٩٦٠٦٠٥٠

(darelbrbahary@yahoo.com)

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

مَعْنَاهَا - شُرُوطُهَا - نَوَاقِضُهَا - فَضْلُهَا

تأليف

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله

دار الفرقان للنشر والتوزيع

دار الإمام النووي

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَن يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بَعدُ:

فَإنَّ الله تَعَالَىٰ خَلَقَ الخَلْقَ لعِبَادَتِهِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

والعِبَادةُ هِي طَاعَةُ اللهِ بامتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجتِنَابِ نَوَاهِيهِ، كَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ سُبحَانَهُ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، فَالعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحبُّه اللهُ وَيَرْضَاهُ مِن الأقوَالِ والأعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ.

فَعِبَادَتُهُ سُبْحَانَهُ هِي طَاعَتُهُ بِفِعلِ المَأمُورِ وَترْكِ المَحْظُورِ، وَذَلِكَ هُو حَقِيقَةُ دِينِ الإسْلَامِ؛ لأنَّ مَعْنَىٰ الإسْلَامِ: الاستِسْلَامُ للهِ تَعَالَىٰ، المُتَضَمِّنُ غَايَةَ الانقِيَادِ وَالذُّل وَالخُضُوعِ.

وَكَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بعِبَادَتِهِ، نَهَىٰ عَن عِبَادَةِ سِوَاهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]

وَقَد بَيَّنَ ﷻ أنَّ مَنْ وَحَّدَه، وَأَخْلَصَ العِبَادَةَ لَهُ، وَلَم يَخلِطْ إِيْمَانَهُ بِشِركٍ، كَانَ مِن الآمِنِينَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، المُهتَدِينَ إِلَىٰ الصِّرَاطِ المُستَقِيمِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم

﴿مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، أَي: الَّذِينَ أَخْلَصُوا العِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ، وَلَم يَخْلِطُوا إِيْمَانَهُم بِشِرْكٍ، وَهُم بِذَلِكَ مُوَحِّدُونَ للهِ تَعَالَىٰ.

واللَّبْسُ: الخَلْطُ، **والظُّلْمُ هنا**: الشِّرْكُ.

فَعَن عَبدِ الله بن مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لَم يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟

قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ لُقْمَانَ لابنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]». رواه البخاري (٣١٨١، ٣٢٤٦)، ومسلم(١٢٤).

وَلَقَد بَيَّنَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ التَّوْحِيدَ أَعْظَمَ بَيَانٍ وَأَكمَلَهُ.

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ العَظِيمَةُ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» هِي الَّتِي شَهِدَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا لِنَفسِهِ، وَشَهِدَ بِهَا لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَأُولُو العِلْمِ مِن خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨]. فَـ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» كَلِمَةُ الإِسْلَامِ، لَا يَصِحُّ إِسْلَامُ أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا وُضِعَتْ لَهُ، وَدَلَّت عَلَيهِ، وَقَبُولِهِ، وَالانقِيَادِ للعَمَلِ بِهِ.

وَهِي كَلِمَةُ الإِخْلَاصِ المُنَافِيَةُ للشِّرْكِ، وَكَلِمَةُ التَّقْوَىٰ الَّتِي تَقِي قَائِلَهَا مِن الشِّرْكِ بِاللهِ، وَهِي الكَلِمَةُ الفَارِقَةُ بَيْنَ الكُفْرِ والإِسْلَامِ، وَبِهَا بُعِثَ جَمِيعُ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وَشَهَادَةُ أَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» الأحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَم يَلِدْ وَلَم يُولَدْ وَلَم يَكُن لَه كُفُوًا أَحَدٌ؛ هَذَا هُو التَّوحِيدُ الَّذِي نَفَىٰ الشِّرْكَ الأعْظَمَ، وَعَلَيهِ نُصِبَتِ القِبْلَةُ، وَبِهِ حُقِنَتِ الدِّمَاءُ وَالأمْوَالُ، وَانفَصَلَتْ دَارُ الإيمَانِ مِن دَارِ الكُفْرِ، وَصَحَّت بِهِ المِلَّةُ، وَقَامَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ، واستَقَرَّتْ بِهِ الدِّيَانَةُ.

وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ -الَّتِي أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَهَا خَالِصَةً لِوَجْهِهِ، وَأَنْ يَنفَعَ بِهَا خَلْقَهُ- فِي بَيَانِ شَيءٍ مِن تِلْكَ المَعَانِي، فَفِيهَا -بحَولِ اللهِ وَقُوَّتِهِ-: بَيَانُ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَبَيَانُ شُرُوطِهَا، وَنَوَاقِضِهَا، وَطَرَفٍ مِن فَضَائِلِهَا، وَإِعْرَابِهَا.

أَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ المُثْلَىٰ، أَنْ يَرزُقَنَا الإخْلَاصَ فِي القَصْدِ وَالنِّيَّةِ، والإحْسَانَ فِي القَولِ وَالعَمَلِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَهُو عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ أَبَويهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَعَلَىٰ سَائِرِ الأنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ والآلِ وَالصَّحبِ أَجْمَعِينَ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وآخرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وكتب

أبو عبد الله

محمد بن سعيد بن رسلان

-عفا الله عنه وعن والديه-

سُبك الأحد - الخميس

٢٥ من جمادىٰ الآخرة ١٤٣٠هـ

١٨ من يونيه ٢٠٠٩م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَن يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا الله، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أمَّا بَعدُ:

فَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَىٰ العِبَادِ: مَعرِفَةُ الأَمرِ الَّذِي خَلَقَهُمُ اللهُ لَهُ، وَأَخَذَ عَلَيهِمُ المِيثَاقَ بِهِ، وَأَرسَلَ بِهِ رُسُلَهُ إِلَيهِم، وَأَنزَلَ بِهِ كُتُبَهُ عَلَيهِم، وَلِأَجلِهِ خُلِقَتِ الدُّنيَا وَالآخِرَةُ، وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَبِهِ حَقَّت الحَاقَّةُ، وَوَقَعَتِ الوَاقِعَةُ، وَفِي شَأنِهِ تُنصَبُ المَوَازِينُ، وَتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، وَفِيهِ تَكُونُ الشَّقَاوَةُ وَالسَّعَادَةُ، وَعَلَىٰ حَسَبِهِ تُقَسَّمُ الأَنوَارُ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وَقَد أَخبَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ مَا خَلَقَنَا إِلَّا لِعِبَادَتِهِ، وَالعِبَادَةُ هِيَ: «اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الأَقوَالِ وَالأَعمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ».

وَأَصْلُ العِبَادَةِ وَقِوَامُهَا الَّذِي لَا قِوَامَ لَهَا بِدُونِهِ هُوَ التَّوحِيدُ الَّذِي أُرسِلَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتْ بِهِ الكُتُبُ، وَمِن أَجْلِهِ أُمِرَ بِالجِهَادِ، وَفُرِضَ عَلَىٰ كُلِّ فَرْدٍ مِن الأَفْرَادِ، وَلِأَجْلِهِ خُلِقَتِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ، وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ.

وَالجَامِعُ لَهُ كَلِمَةٌ خَفِيفَةُ اللَّفْظِ، وَاسِعَةُ المَعْنَىٰ، جَلِيلَةُ القَدْرِ، وَهِيَ:

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ »

كَلِمَةُ الشَّهَادَةِ، وَمِفتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ، فَهِيَ أَصْلُ الدِّينِ وَأَسَاسُهُ، وَرَأسُ أَمْرِهِ، وَسَاقُ شَجَرَتِهِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِهِ، وَبَقِيَّةُ الأَركَانِ وَالفَرَائِضِ مُتَفَرِّعَةٌ عَنْهَا، مُتَشَعِّبَةٌ مِنْهَا، مُكَمِّلَاتٌ لَهَا، مُقَيَّدَةٌ بِالتِزَامِ مَعْنَاهَا وَالعَمَلِ بِمُقتَضَاهُ.

وَهَذَا الأَمرُ الذِي خَلَقَهُمُ اللهُ لِأَجلِهِ، بَيَّنَهُ سُبحَانَهُ فِي قَولِهِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

﴿ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَقد أَوجَبَ اللهُ عَلَىٰ المُكَلَّفِ شَهَادَةَ أَن «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَالعَمَلَ بِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩].

وَكُلُّ رَسُولٍ خَاطَبَ قَومَهُ أَوَّلَ مَا خَاطَبَهُم بِقَولِهِ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٩].

وَبِالنَّفي وَالإِثبَاتِ فِي الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ، وَهِيَ أَوَّلُ دَعوَتِهِم لِأَقوَامِهِم ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٤].

وَمِن أَجلِ هَذِهِ الكَلِمَةِ خَلَقَ اللهُ الجِنَّ وَالإِنسَ، وَمِن أَجلِ هَذِهِ الكَلِمَةِ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ، وَمِن أَجلِهَا افتَرَقَ النَّاسُ إِلَىٰ فَرِيقَينِ: فَرِيقٍ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٍ فِي السَّعِيرِ.

وَكَلِمَةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» هِيَ كَلِمَةُ الإِخلَاصِ؛ لِأَنَّهَا تَنفِي الشِّركَ بِاللهِ ﷻ، وَتُثبِتُ العِبَادَةَ لَهُ وَحدَهُ سُبحَانَهُ.

فَهِيَ كَلِمَةُ الإِخلَاصِ؛ إِخلَاصِ التَّوحِيدِ، وَإِخلَاصِ العِبَادَةِ، وَتَجَنُّبِ الشِّركِ بِاللهِ تَعَالَىٰ.

وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقوَىٰ، كَمَا قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦].

و﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: هِيَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَهِيَ العُروَةُ الوُثقَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وَهِي العَهْدُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قَولِهِ: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧].

وَهِي الحَسَنَةُ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل:٨٩].

وَهِي كَلِمَةُ الحَقِّ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قَولِهِ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

وَهِي كَلِمَةُ التَّقْوَىٰ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قَولِهِ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ﴾ [الفتح:٢٦].

وَهِي المَثَلُ الأَعْلَىٰ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي قَولِهِ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧].

وَهِي الحُسْنَىٰ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ ﷻ فِي قَولِهِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-٧].

وَهِي القَولُ الثَّابِتُ الَّذِي قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧].

وَعَنْهَا يَسْأَلُ اللهُ الرُّسُلَ وأُمَمَهُم، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦].

فَيَقُولُ للرُّسُلِ: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٩]؟

وَيَقُولُ للأُمَمِ: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥]؟

فـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: كَلِمَةُ الإِخلَاصِ، وَكَلِمَةُ التَّقوَىٰ، وَهِيَ العُروَةُ الوُثقَىٰ، وَهِيَ الكَلِمَةُ الفَارِقَةُ بَينَ الكُفرِ وَالإِيمَانِ، **وَلَابُدَّ مِنَ اعتِقَادِ مَعنَاهَا مَعَ التَّلَفُّظِ بِهَا، وَالعَمَلِ بِلَوَازِمِهَا، فَلَيسَ المُرَادُ قَولَهَا بِاللِّسَانِ مَعَ الجَهلِ بِمَعنَاهَا، وَلَيسَ ذَلِكَ بِمُغنٍ شَيئًا إِذَا لَمْ يَعمَلْ بِلَوَازِمِهَا**، فَإِنَّ المُنَافِقِينَ يَقُولُونَهَا وَهُم تَحْتَ الكُفَّارِ فِي الدَّرْكِ الأَسفَلِ مِنَ النَّارِ، مَعَ كَونِهِم -أَيِ المُنَافِقِينَ- يُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَصُومُونَ، وَقَد يَحُجُّونَ.

فَالمُرَادُ اعتِقَادُ القَلْبِ، وَنُطقُ اللِّسَانِ، وَالعَمَلُ بِمُقتَضَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَذَلِكَ بِإِخلَاصِ العِبَادَةِ للهِ تَعَالَىٰ، وَتَركِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ ﷻ.

فـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» كَلِمَةُ نُطقٍ، وعِلمٍ، وَعَمَلٍ.

وَمعنىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: أَي: لَا مَعبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، وَغيرُ اللهِ إِن عُبِدَ فَبِبَاطِلٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

وَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩].

قَالَ شَيخُ الإِسلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «الإِلَهُ: هُوَ المَألُوهُ، وَالمَألُوهُ هُوَ الذِي يَستَحِقُّ أَنْ يُعبَدَ»[١].

وَفِي اللُّغَةِ: يُقَالُ: تَأَلَّهَ الرَّجُلُ إِذَا تَعَبَّدَ، وَالهَمْزَةُ واللَّامُ وَالهَاءُ (أَلِه): أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ[٢].

«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، فَلَابُدَّ مِن إِفْرَادِ اللهِ وَحْدَهُ بِالعِبَادَةِ، وَهُوَ تَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ، وَهُوَ الذِي وَقَعَ فِيهِ الخِلَافُ، وَدَبَّت بِسَبَبِهِ الخُصُومَةُ، وَلِأَجْلِهِ نُصِبَ سُوقُ الجِهَادِ، فَالأُلُوهِيَّةُ مَعنَاهَا: **العِبَادَةُ**.

وَمَعْنَىٰ «**لَا إِلَه إِلَّا اللهُ**» عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَعُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ، وَالفُقَهَاءِ، كُلُّهُم يُفَسِّرُونَ الإِلَهَ بِالمَعْبُودِ، وَالتَّأَلُّهَ بِالتَّعَبُّدِ.

وَأَمَّا العِبَادَةُ فَعَرَّفَهَا بَعْضُهُم بِأَنَّهُ مَا أُمِرَ بِهِ شَرْعًا، مِن غَيرِ اطِّرَادٍ عُرْفِيٍّ، وَلَا اقتِضَاءٍ عَقْلِيٍّ، وَالمَأثُورُ عَنِ السَّلَفِ: تَفسِيرُ العِبَادَةِ بِالطَّاعَةِ، فَيَدخُلُ فِي

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٤٩).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ١٢٧) تحقيق عبد السلام هارون.

ذَلِكَ فِعْلُ المَأمُورِ وَتَرْكُ المَحْظُورِ مِن وَاجِبٍ وَمَندُوبٍ، وَتَرْكُ المَنْهِيِّ عَنْهُ مِن مُحَرَّمٍ وَمَكْرُوهٍ، فَمَنْ جَعَلَ نَوْعًا مِن أَنْوَاعِ العِبَادَةِ لِغَيرِ اللهِ؛ كَالدُّعَاءِ، والسُّجُودِ، وَالذَّبحِ، وَالنَّذرِ، وَغَير ذَلِكَ، فَهُو مُشْرِكٌ.

وَ«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» مُتَضَمِّنَةٌ للكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِن دُونِهِ؛ لأنَّ مَعْنَىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» إِثْبَاتُ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ، وَالبَرَاءَةُ مِن كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، وَهَذَا مَعْنَىٰ الكُفْرِ بِمَا يُعبَدُ مِن دُونِهِ؛ لأنَّ مَعْنَىٰ الكُفْرِ بِمَا يُعْبَدُ مِن دُونِهِ: البَرَاءَةُ مِنْهُ، وَاعتِقَادُ بُطْلَانِهِ.

وَهَذَا مَعْنَىٰ الكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ فِي قَولِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وَالطَّاغُوتُ: اسْمٌ لِكُلِّ مَعْبُودٍ سِوَىٰ الله تَعَالَىٰ، كَمَا فِي قَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وَ«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» **لَهَا رُكنَانِ**: النَّفْيُ، وَالإِثْبَاتُ.

فـ«**لَا إِلَهَ**»: تَنفِي العِبَادَةَ عَن كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

و«**إِلَّا اللهُ**»: تُثْبِتُ جَمِيعَ العِبَادَةِ للهِ وَحدَهُ.

وَالنَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ هُوَ التَّوحِيدُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتْ بِهِ الكُتُبُ، وَهُوَ إِثْبَاتُ الإِلَهِيَّةِ للهِ وَحْدَهُ، بِأَن يَشْهَدَ أَنْ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وَلَا يَعْبُدَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَيهِ، وَلَا يُوَالِي إِلَّا لَهُ، وَلَا يُعَادِي إِلَّا فِيهِ، وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا لِأَجْلِهِ، وَلِذَلِكَ يَتَضَمَّنُ التَّوحِيدُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ إِثْبَاتَ مَا أَثْبَتَهُ تَعَالَىٰ لِنَفْسِهِ

مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، وَلَا يَتِمُّ التَّوحِيدُ إِلَّا بِهِمَا، بِنَفْيِ الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، مِنَ المُرسَلِينَ، حَتَّىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنَ المَلَائِكَةِ، حَتَّىٰ جِبرِيلَ، فَضْلًا عَن غَيرِهِمَا مِنَ الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِثْبَاتِ الأُلُوهِيَّةِ للهِ ﷻ فَلَا يَكْفِي النَّفْيُ، وَلَا يَكْفِي الإِثْبَاتُ، بَل لَابُدَّ مِنَ الاثْنَين مُقْتَرِنَينِ.

وَتَفْهَمُ هَذَا حَقَّ الفَهْمِ إِن عَرَفْتَ أُسْلُوبَ القَصْرِ، فَأَنتَ إِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ شُجَاعٌ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَنْفِي أَن يَكُونَ هُنَالِكَ مَعَهُ مِنَ الشُّجعَانِ سِوَاهُ، بَلْ مَنْ هُوَ أَشْجَعُ مِنْهُ.

وَلَو قُلْتَ: مَا زَيْدٌ بِشُجَاعٍ، فَأَنتَ أَيْضًا لَمْ تَجْعَلْ بِهَذَا النَّفْي عَدَمَ الشَّجَاعَةِ مَقْصُورًا عَلَيهِ.

وَلَكِنَّكَ إِن قُلْتَ: مَا شُجَاعٌ إِلَّا زَيْدٌ، فَقَدْ وَحَّدْتَهُ حِينَئِذٍ بِالشَّجَاعَةِ.

فـ«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ، نَفْيُ الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِثْبَاتُهَا للهِ ﷻ، فَلَا يَكْفِي النَّفْيُ وَحْدَهُ، وَلَا يَكْفِي الإِثْبَاتُ وَحْدَهُ، بَلْ لَابُدَّ مِنَ الاثْنَينِ مُقْتَرِنَينِ.

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ:

«اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ مَعْنَىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: نَفيٌ وَإِثبَاتٌ؛ تَنْفِي أَربَعَةَ أَنْوَاعٍ، وَتُثبِتُ أَربَعَةَ أَنْوَاعٍ.

* تَنْفِي: الإلَهِيَّةَ، وَالطَّوَاغِيتَ، وَالأَنْدَادَ، وَالأَرْبَابَ.

فَالآلِهَةُ: مَا قَصَدتَهُ بِشَيءٍ مِن جَلْبِ خَيرٍ أَو دَفْعِ ضُرٍّ، فَأَنْتَ مُتَّخِذُهُ إِلَهًا.

وَالطَّوَاغِيتُ: مَنْ عُبِدَ وَهُو رَاضٍ، أَو رُشِّحَ للعِبَادَةِ.

وَالأَنْدَادُ: مَا جَذَبَكَ عَن دِينِ الإِسْلَامِ مِن أَهْلٍ، أَو مَسْكَنٍ، أَو عَشِيرَةٍ، أَو مَالٍ، فَهُو نِدٌّ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

وَالأَرْبَابُ: مَنْ أَفْتَاكَ بِمُخَالَفَةِ الحَقِّ وَأَطَعْتَهُ؛ مِصْدَاقًا لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

* وَتُثْبِتُ أَربَعَةَ أَنْوَاعٍ:

القَصْدَ: وَهُو كَونُكَ مَا تَقْصِدُ إِلَّا اللهُ.

وَالتَّعظِيمَ وَالمَحَبَّةَ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَالخَوفَ وَالرَّجَاءَ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

فَمَنْ عَرَفَ هَذَا، قَطَعَ العَلَاقَةَ مَع غَيرِ اللهِ، وَلَا تَكبُرُ عَلَيهِ جَهَامَةُ البَاطِلِ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَن إِبْرَاهِيمَ -عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَام- بِتَكْسِيرِهِ الأَصْنَامَ وَتَبَرِّيه مِن قَوْمِهِ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤]».

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ لَهَا مَنطُوقٌ يَدُلُّ عَلَىٰ نَفْيِ الإِلَهِيَّةِ عَن غَيرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَيضًا الإِثْبَاتُ مَنطُوقٌ بِهِ، قَالَ الشَّيخُ العَلَّامَةُ الفَقِيهُ المُفَسِّرُ الأُصُولِيُّ النَّقَّادُ مُحَمَّدٌ الأَمِينُ الشَّنقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أَقْوَىٰ صِيَغِ الحَصْرِ النَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ، نَحْو: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)».

الأُصُولِيُّونَ يَقُولُونَ: مَنطُوقُهَا نَفْيُ الأُلُوهِيَّةِ عَن غَيْرِهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَمَفْهُومُهَا إِثْبَاتُهَا لَهُ وَحْدَهُ -جَلَّ وَعَلَا-، والبَيَانِيُّونَ يَعْكِسُونَ يَقُولُونَ: مَنطُوقُهَا إِثْبَاتُ الأُلُوهِيَّةِ للهِ وَحْدَهُ، وَمَفْهُومُهَا نَفْيُ الأُلُوهِيَّةِ عَن غَيرِهِ -جَلَّ وَعَلَا-.

قَالَ الشَّيخُ مُحَمَّدٌ الأَمِينُ الشَّنقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ النَّفْيَ وَالإِثْبَاتَ كِلَاهُمَا مَنطُوقٌ صَرِيحٌ، فَلَفْظَةُ (لَا) صَرِيحَةٌ فِي النَّفْيِ، وَلَفْظَةُ (إِلَّا) صَرِيحَةٌ فِي الإِثْبَاتِ».

فَالنَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ كِلَاهُمَا مَنطُوقٌ صَرِيحٌ، فَعَدُّ مِثْلِ هَذَا مِنَ المَفْهُومِ غَلَطٌ فِيمَا يَظْهَرُ لِي.

قَالَ: «وَقَدْ نَبَّهَ عَلَيهِ صَاحِبُ نَشْرِ البُنُودِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ لِلْحَصْرِ مَفْهُومٌ فِي

الأَدَوَاتِ الأُخَرِ، نَحْو: إِنَّمَا، وَنَحْو: تَقْدِيمِ المَعْمُولِ، وَتَعْرِيفِ الجُزْأَينِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ».

فَأَقْوَىٰ صِيَغِ الحَصْرِ: النَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ، نَحْو: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

فَمَعنَىٰ شَهَادَةِ أَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: نَفْيُ اسْتِحْقَاقِ العِبَادَةِ عَن كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ، وَإِثْبَاتُهَا للهِ ﷻ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

* * *

شروط لا إله إلا الله

فـ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، هِي العُروَةُ الوُثْقَىٰ، وَهِي كَلِمَةُ التَّقْوَىٰ، وَهِي الحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَهِي الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ ﷻ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ، وَهِي الَّتِي خُلِقَتْ لأَجْلِهَا المَخْلُوقَاتُ، وَبِهَا قَامَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ، وَلأَجْلِهَا أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنزِلَتِ الكُتُبُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وَالمُرَادُ مَعْنَىٰ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَمَّا التَّلَفُّظُ بِاللِّسَانِ مَع الجَهْلِ بِمَعْنَاهَا فَلَا يَنْفَعُ؛ فَإِنَّ المُنَافِقِينَ يَقُولُونَهَا، وَهُم تَحْتَ الكُفَّارِ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النَّارِ.

وَمَعْنَىٰ هَذِهِ الكَلِمَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: نَفيُ الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَإِثْبَاتُهَا كُلُّهَا للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، لَيْسَ فِيهَا حَقٌّ لِغَيرِهِ، لَا لمَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا لِنَبيٍّ مُرْسَلٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٣-٩٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل:١١١].

فَإِذَا قِيلَ: لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، فَهَذَا مَعْرُوفٌ، لَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَإِذَا قِيلَ: لَا يَرْزُقُ إِلَّا اللهُ، فَكَذَلِكَ.

فَإِذَا قِيلَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَكَذَلِكَ.

وَالإِلَهُ هُو المَعْبُودُ، هَذَا هُو تَفْسِيرُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ، فَمَنْ عَبَدَ شَيْئًا فَقَد اتَّخَذَهُ إِلَهًا مِن دُونِ اللهِ، وَجَمِيعُ الآلِهَةِ بَاطِلٌ، إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا، وَهُو اللهُ وَحْدَهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عُلُوًّا كَبِيرًا-.

وَفَرضُ مَعْرِفَةِ شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَبْل فَرْضِ الصَّلَاةِ وَالصَّومِ؛ فَيَجِبُ عَلَىٰ العَبدِ أَنْ يَبْحَثَ عَن مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِن وُجُوبِ بَحثِهِ عَن الصَّلَاةِ وَالصَّومِ.

وَتَحْرِيمُ الشِّرْكِ وَالإِيمَانِ بِالطَّاغُوتِ أَعْظَمُ مِن تَحْرِيمِ نِكَاحِ الأُمَّهَاتِ وَالجَدَّاتِ.

فَأَعْظَمُ مَرَاتِبِ الإِيمَانِ بِاللهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنْ يَشْهَدَ العَبدُ أَنَّ الإِلَهِيَّةَ كُلَّهَا للهِ، لَيْسَ مِنْهَا شَيءٌ لِنَبِيٍّ وَلَا لِمَلَكٍ وَلَا لِوَلِيٍّ، بَل هِي حَقٌّ للهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ.

وَقَالَ شَيخُ الإسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٢٤):

«وَاعْلَم أَنَّ فَقْرَ العَبْدِ إِلَىٰ اللهِ: أَن يَعْبُدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيئًا، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ فَيُقَاسُ عَلَيهِ؛ لَكِنْ يُشْبِهُ مِن بَعضِ الوُجُوهِ حَاجَةَ الجَسَدِ إِلَىٰ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَبَينَهُمَا فُرُوقٌ كَثِيرَةٌ؛ فَإِنَّ حَقِيقَةَ العَبْدِ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ، وَهِيَ لَا صَلَاحَ لَهَا إِلَّا بِإِلَهِهَا اللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَلَا تَطْمَئِنُّ فِي الدُّنيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ.

وَلَو حَصَلَ لِلعَبْدِ لَذَّاتٌ وَسُرُورٌ بِغَيْرِ اللهِ فَلَا يَدُومُ ذَلِكَ، بَلْ يَنتَقِلُ مِن نَوْعٍ إِلَىٰ نَوْعٍ، وَمِن شَخْصٍ إِلَىٰ شَخْصٍ، وَأَمَّا إِلَهُهُ فَلَابُدَّ لَهُ مِنهُ فِي كُلِّ حَالٍ، وَكُلِّ وَقْتٍ، وَأَينَمَا كَانَ فَهُوَ مَعَهُ».

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: الاعتِقَادُ والإقرَارُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ إِلَّا اللهُ، وَالتِزَامُ ذَلِكَ وَالعَمَلُ بِهِ.

مَعْنَاهَا إِجْمَالًا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا الله.

والأُلُوهِيَّةُ مَعْنَاهَا: العِبَادَةُ، وَمِن هُنَا غَلِطَ كَثِيرُونَ فِي تَفْسِيرِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَفَسَّرُوهَا بِغَيرِ تَفْسِيرِهَا.

قَالَ الشَّيخُ الفَوزَانُ: «وَمِن ذَلِكَ:

١- تَفسِيرُ أَهْلِ وَحْدَةِ الوجُودِ لِكَلِمَةِ التَّوحِيدِ:

أَهْلُ وَحْدَةِ الوجُودِ -كَابنِ عَرَبِيٍّ وَأَمْثَالِهِ- يَقُولُونَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللهُ، أَو: لَا إِلَهَ مَوجُودٌ إِلَّا اللهُ، وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ كُلَّ المَعْبُودَاتِ هِي

اللهُ ﷻ، والوجُودُ عِنْدَهُم لَا يَنقَسِمُ إِلَىٰ خَالِقٍ وَمَخْلُوقٍ، هُو كُلُّهُ هُو الله، وَهَذَا مَعْنَىٰ أَنَّهُم أَهْلُ وَحْدَةِ الوجُودِ، يَجْعَلُونَ الوجُودَ يَتَّحِدُ وَلَا يَنْقَسِمُ، كُلُّهُ هُو الله، مَهْمَا عَبَدَ الإنسَانُ مِن شَيءٍ فَإِنَّهُ قَدْ عَبَدَ اللهَ؛ الَّذِي عَبَدَ البَقَرَ، وَالَّذِي عَبَدَ الصَّنَمَ، وَالَّذِي عَبَدَ الحَجَرَ، وَالَّذِي عَبَدَ البَشَرَ، وَالَّذِي عَبَدَ المَلَائِكَةَ، كُلُّهُم يَعْبُدُونَ اللهَ؛ لأنَّ اللهَ هُو الوجُودُ المُطْلَقُ.

وَالَّذِي يَقُولُ: إنَّ الوجُودَ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ قِسْمَينِ: خَالِقٍ، وَمَخْلُوقٍ، يَقُولُونَ عَنهُ: إنَّ هَذَا مُشْرِكٌ، فَلَا يَكُونُ مُوَحِّدًا عِنْدَهُم إلَّا مَن قَالَ: إنَّ الوجُودَ شَيءٌ وَاحِدٌ هُو اللهُ.

وَيَغْلَطُ مَنْ يَقُولُ: وَلَا مَعْبُودَ سِوَاكَ؛ لأنَّه يُوافِقُ قَولَ أَهْلِ وَحْدَةِ الوجُودِ، وَلَو زَادَ: بِحَقٍّ، فَصَارَتْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاكَ؛ لَصَحَّتْ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

٢- تَفْسِيرُ عُلَمَاءِ الكَلَامِ لِكَلِمَةِ التَّوحِيدِ:

عُلَمَاءُ الكَلَامِ يَقُولُونَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: لَا قَادِرَ عَلَىٰ الاختِرَاعِ وَالخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ والإيجَادِ إلَّا اللهُ، وَهَذَا غَيرُ صَحِيحٍ، هَذَا يُوافِقُ دِينَ المُشْرِكِينَ، فَالمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الخَلْقِ إلَّا اللهُ، لَا يُحيي إلَّا اللهُ، وَلَا يُمِيت إلَّا الله، وَلَا يَرْزُق إلَّا الله، وَهَذَا تَوحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

٣- تَفْسِيرُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» عِنْدَ الجَهْمِيَّةِ وَالمُعتَزِلَةِ:

تَفْسِيرُهَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ وَعِنْدَ مَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِم هُو نَفيُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ لأنَّ مَنْ أَثْبَتَ الأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ يَكُونُ عِنْدَهُم مُشْرِكًا، وَالتَّوحِيدُ عِنْدَهُم هُو نَفيُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

٤- تَفْسِيرُ الحِزبيينَ مِن القُطْبِيينَ وَالإِخوَانِيينَ:

يَقُولُونَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؛ أَي: لَا حَاكِمِيَّةَ إِلَّا للهِ، وَالحَاكِمِيَّةُ كَمَا يُسَمُّونَهَا جُزءٌ مِن مَعْنَىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؛ لأنَّ مَعْنَاهَا شَامِلٌ لِكُلِّ أَنْوَاعِ العِبَادَاتِ.

فَنَقُولُ لَهُم: وَأَيْنَ بَقِيَّةُ العِبَادَاتِ؟! أَيْنَ الرُّكُوعُ؟! وَأَيْنَ السُّجُودُ وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَبَقِيَّةُ العِبَادَاتِ؟!

هَلْ العِبَادَةُ هِي الحَاكِمِيَّةُ فَقَط، إِذَا كَانَ مَعْنَاهَا عِنْدَكُم الحَاكِمِيَّةُ فَقَط؟

وَأَيْنَ مَا تَنْفِيهِ مِن أَنْوَاعِ الشِّرْكِ؟! يَا سُبْحَانَ اللهِ! يَنْبَغِي التَّنَبُّهُ لِهَذِهِ الأُمُورِ؛ لأنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ، هِي المُنَجِّيَةُ مِن النَّارِ لِمَن حَقَّقَهَا، وَكُلُّ الدِّينِ يَنْبَنِي عَلَيْهَا مِن أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ، وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ، وَالكُتُبُ المُنَزَّلَةُ كُلُّهَا مَبنِيَّةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الكَلِمَةِ.

٥- تَفْسِيرُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ:

«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» **مَعْنَاهَا**: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، لأنَّ المَعْبُودَاتِ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنَّ المَعْبُودَ بِحَقٍّ هُو اللهُ وَحْدَهُ، وَمَا سِوَاهُ فَعِبَادَتُهُ بِاطِلَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

فـ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» نَفيٌ وَإِثْبَاتٌ، نَفيُ الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ ﷻ مِن المُرْسَلِينَ حَتَّىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَن المَلَائِكَةِ حَتَّىٰ جِبْرِيلَ، فَضْلًا عَن غَيرِهِمَا مِن الأَنبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِثْبَاتُهَا للهِ ﷻ.

وَكَلِمَةُ التَّقْوَىٰ، وَأَسَاسُ التَّوحِيدِ، وَالعُرْوَةُ الوُثْقَىٰ، كَلِمَةُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، دَلَّت عَلَىٰ جَمِيعِ أَقْسَامِ التَّوحِيدِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ:

١- دَلَالَتُهَا عَلَىٰ الأُلُوهِيَّةِ:

لأَنَّ مَعْنَاهَا: أَنَّهُ لَا مُستَحِقَّ للعِبَادَةِ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ، فـ «لَا إِلَهَ»: نَفَتِ اسْتِحْقَاقَ العُبُودِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ، و«إِلَّا اللهُ»: أَثْبَتَتْ جَمِيعَ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

٢- تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ:

أَي: انفِرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِخَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَقَد دَلَّت كَلِمَةُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» عَلَىٰ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّضَمُّنِ، فَتَوحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ مُتَضَمِّنٌ لِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَذَلِكَ لأَنَّه لَا يَسْتَحِقُّ أَن يُفْرَدَ بِالعِبَادَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ مُنفَرِدًا بالرُّبُوبِيَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [فاطر:٣]،

فَدَلَّت الآيَةُ عَلَىٰ أنَّه لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ إلَّا المُنْفَرِدُ بِالمُلْكِ وَالرِّزْقِ وَغَيرِهِمَا مِن أُمُورِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَكَلِمَةُ التَّوحِيدِ تَدُلُّ عَلَىٰ تَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ بالتَّضَمُّنِ.

٣- تَوحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

لأنَّ إِثْبَاتَ وُجُودِ اللهِ أَصْلًا، وَإِفْرَادَهُ بِالعِبَادَةِ سُبْحَانَهُ يُعَدُّ إِثْبَاتًا لأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ ذَاتٍ دُونَ أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ؛ لأنَّ هَذَا لَا يَصِحُّ إلَّا فِي حَقِّ المُمْتَنِعَاتِ وَالمَعْدُومَاتِ.

وَقَد نَصَّ شَيخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ عَلَىٰ دَلَالَةِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ عَلَىٰ جَمِيعِ أَنْوَاعِ التَّوحِيدِ، فَقَالَ: «وَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِيهَا الإِلَهِيَّاتُ، وَهِي الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهَذِهِ الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ تَدُورُ عَلَيهَا أَدْيَانُ الرُّسُلِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم، وَهِي الأُصُولُ الكِبَارُ الَّتِي دَلَّت عَلَيهَا، وَشَهِدَتْ بِهَا العُقُولُ وَالفِطَرُ».

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ لَهَا شُرُوطٌ، لَابُدَّ مِن تَحْصِيلِ شُرُوطِهَا حَتَّىٰ تَنفَعَ قَائِلَهَا، وَهَذِهِ الشُّرُوطُ ذَكَرَهَا الشَّيخُ حَافِظ حَكَمِي فِي السُّلَّمِ[1]:

مَنْ قَالَهَا مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا ... وَكَانَ عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَا

فِي القَولِ وَالفِعلِ وَمَاتَ مُؤْمِنَا ... يُبعَثُ يَومَ الحَشْرِ نَاجٍ آمِنَا

فَإِنَّ مَعنَاهَا الَّذِي عَلَيهِ ... دَلَّتْ يَقِينًا وَهَدَتْ إِلَيهِ

---

(١) انظر: معارج القبول شرح سلم الوصول، للحكمي (١/ ٤١٠-٤٢٤).

أَنْ لَـيسَ بِالحَـقِّ إِلَـهٌ يُعْـبَدُ ... إِلَّا الإِلَـهُ الـوَاحِدُ المُتَفَـرِّدُ

بِالخَلْـقِ وَالـرِّزْقِ وَبِالتَّدْبِيـرِ ... جَـلَّ عَـنِ الـشَّـرِيكِ وَالنَّظِيـرِ

وَبِـشُرُوطٍ سَـبْعَةٍ قَـد قُـيِّدَتْ ... وَفِي نُصُوصِ الوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ

فَإِنَّـهُ لَـمْ يَنـتَفِعْ قَائِلُـهَـا ... بِالـنُّطْقِ إِلَّا حَـيثُ يَـسْتَكْمِلُهَا

والعِلْـمُ وَاليَقِـينُ وَالقَـبُولُ ... وَالانقِـيَادُ فَـادْرِ مَـا أَقُـولُ

وَالـصِّدْقُ وَالإِخْـلَاصُ وَالمَحَبَّه ... وَفَّقَـكَ اللَّـهُ لِمَـا أَحَـبَّه

وَقَد قُيِّدَت هَذِهِ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ بِقُيودٍ ثِقَالٍ، هِي أَثْقَلُ عَلَىٰ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ مِن الجِبَالِ، وَأَشَقُّ عَلَيهِ حَمْلُهَا مِن السَّلَاسِلِ وَالأَغْلَالِ.

أَمَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ وَهَدَاهُ، وَيَسَّرَ لَهُ سُبُلَ النَّجَاةِ، وَجَعَلَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ وَمُصْطَفَاهُ، فَهِي أَسْهَلُ عَلَيهِ، وَأَلَذُّ لَدَيهِ مِن العَذْبِ الزُّلَالِ.

وَلَا عَجَبَ، فَوَصِيَّةُ اللهِ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ هِي كَلِمَةُ التَّوحِيدِ الفَارِقَةُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورىٰ:١٣].

وَهَذِهِ الشُّرُوطُ هِي:

الشَّرطُ الأوَّلُ: العِلْمُ

العِلْمُ بِمَعنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، عِلْمًا يُنَافِي الجَهْلَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أَيْ شَهِدَ بِـ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦]. يَعْلَمُونَ بِقُلُوبِهِم مَعْنَىٰ مَا نَطَقُوا بِهِ بِأَلْسِنَتِهِم.

وقال تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر:٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣].

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[1]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَقَيَّدَهَا بِالعِلْمِ بِمَعْنَاهَا، وَهُو نَفيُ العِبَادَةِ عَن كُلِّ مَا سِوَىٰ اللهِ ﷻ، وَإِثْبَاتُهَا للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

أَمَّا مَنْ يَهْذِي بِهَا هَذَيَانًا كَكَلَامِ النَّائِمِ، لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهَا، فَكَيْفَ يَنْفِي مَا نَفَتْ، ويُثْبِتُ ما أَثْبَتَتْ، وَهُو لَا يَعْلَمُ شَيئًا مِن ذَلِكَ؟!

أَمْ كَيْفَ يَعْمَلُ بِمُقْتَضَىٰ مَا لَا يَعْلَمُهُ؟!

فَلَيسَ المُرَادُ قَولَهَا باللِّسَانِ مَع الجَهْلِ بِمَعْنَاهَا؛ فَإِنَّ المُنَافِقِينَ يَقُولُونَهَا وَهُم تَحْتَ الكُفَّارِ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّ المُرَادَ قَوْلُهَا مَع مَعْرِفَتِهَا بِالقَلْبِ؛ وَمَحَبَّتِهَا، وَمَحَبَّةِ أَهْلِهَا، وَبُغْضِ مَا خَالَفَهَا.

وَالمُرَادُ مِن شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: هُو الإِقْرَارُ بِهَا عِلْمًا، وَنُطْقًا، وَعَمَلًا، خِلَافًا لِمَا يَظُنُّهُ الجُهَّالُ أَنَّ المُرَادَ مِن هَذِهِ الكَلِمَةِ هُو مُجَرَّدُ النُّطْقِ بِهَا، أَو الإِقْرَارُ بِوجُودِ اللهِ أَو مُلْكِهِ لِكُلِّ شَيءٍ مِن غَيرِ شَرِيكٍ، فَإِنَّ هَذَا القَدْرَ قَد عَرَفَهُ عُبَّادُ الأَوثَانِ وأَقَرُّوا بِهِ، فَضْلًا عَن أَهْلِ الكِتَابِ، وَلَو كَانَ كَذَلِكَ لَم يَحْتَاجُوا إِلَىٰ الدَّعْوَةِ إِلَيهِ.

وَقَد كَانَ المُشْرِكُونَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ هُو الخَالِقُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَخْلُقُ وَلَا يَرْزُقُ إِلَّا هُو، وَلَا يُحيي وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُو، وَأَنَّ جَمِيعَ

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

السَّمواتِ السَّبعِ ومَنْ فِيهِنَّ، وَالأرَضِينَ السَّبعِ ومَنْ فِيهِنَّ كُلهُم عَبِيدُهُ، وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أنَّ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ يَشْهَدُونَ بِهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].

وَقَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩].

وَالآيَاتُ الدَّالَّاتُ عَلَىٰ تَحقُّقِ أنَّهُم يُقِرُّونَ بِهَذَا كُلِّه كَثِيرَةٌ، وَلَم يُدْخِلْهُم ذَلِكَ فِي التَّوحِيدِ الَّذِي دَعَاهُم إِلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَالتَّوحِيدُ الَّذِي جَحَدُوه: هُو تَوْحِيدُ العِبَادَةِ الَّذِي يُسَمِّيه المُشْرِكُونَ الاعتِقَادَ، وَكَانُوا يَدْعُونَ اللهَ ﷻ لَيْلًا وَنَهَارًا، خَوْفًا وَطَمْعًا، وَمِنهُم مَنْ يَدْعُو المَلَائِكَةَ وَالأنبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ لأجْلِ صَلَاحِهِم وَقُربِهِم مِن اللهِ ﷻ لِيَشْفَعُوا لَهُم، وَيَدْعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثلَ اللَّات، أَو نَبِيًّا مِثْلَ عِيسَىٰ، وَقَد قَاتَلَهُم الرَّسُولُ ﷺ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَدَعَاهُم إِلَىٰ إِخْلَاصِ العِبَادَةِ للهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد:١٤].

وَالرَّسُولُ ﷺ قَاتَلَهُم لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ، وَالدُّعَاءُ كُلُّهُ لله، وَالذَّبْحُ كُلُّه للهِ، وَالنَّذرُ كُلُّه لله، والاستِغَاثَةُ كُلُّهَا باللهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ العِبَادَاتِ كُلُّهَا للهِ.

وَإِقْرَارُهُم بِتَوحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَم يُدْخِلْهُم فِي الإِسْلَامِ، وقَصْدُهُم المَلَائِكَةَ والأنبِيَاءَ والأَولِيَاءَ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُم، وَالتَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ، هُو الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُم، وَهَذَا هُو التَّوحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيهِ الرُّسُلُ، وَأَبَىٰ عَن الإِقْرَارِ بِهِ المُشْرِكُونَ.

وَهَذَا التَّوحِيدُ هُو مَعْنَىٰ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فَإِنَّ الإِلَهَ هُو الَّذِي يُقْصَدُ لأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ، سَوَاء كَانَ مَلَكًا، أو نَبِيًّا، أَو وَلِيًّا، أَو شَجَرَةً، أَو قَبْرًا، أَو جِنِّيًّا، وَلَم يُرِيدُوا أَنَّ الإِلَهَ هُو الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، فَإِنَّهم يُقِرُّونَ أَنَّ ذَلِكَ للهِ وَحْدَهُ.

وَقَد أَتَىٰ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو إِلَىٰ كَلِمَةِ التَّوحِيدِ، وَهِي: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وَالمُرَادُ مِن هَذِهِ الكَلِمَةِ مَعْنَاهَا، لَا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا.

وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ هُو إِفْرَادُ اللهِ بِالتَّعَلُّقِ، وَالكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِن دُونِهِ وَالبَرَاءَةُ مِنهُ، فَإِنَّه لَمَّا قَالَ لَهُم قُولُوا: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

لَقَد كَانَ جُهَّالُ الكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ؛ وَالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلَامَ وَهُو لَا يَعْرِفُ مِن مَعْنَىٰ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَا عَرَفَهُ جُهَّالُ الكُفَّارِ، بَل يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُو التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِن غَيرِ اعْتِقَادِ القَلْبِ بِشَيءٍ مِن المَعَانِي، وَالحَاذِقُ مِنْهُم يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا: لَا يَخْلُقُ، وَلَا يَرْزُقُ، وَلَا يُحيي وَلَا يُمِيتُ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا اللهُ.

فَلَا خَيرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنهُ بِمَعْنَىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»!

* * *

الشَّرْطُ الثَّانِي:
اليَقِينُ الْمُنَافِي لِلشَّكِّ

وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ قَائِلُهَا مُسْتَيْقِنًا بِمَدْلُولِ هَذِهِ الكَلِمَةِ يَقِينًا جَازِمًا، فَإِنَّ الإِيمَانَ لَا يُغْنِي فِيهِ إِلَّا عِلْمُ اليَقِينِ لَا عِلْمُ الظَّنِّ، فَكَيْفَ إِذَا دَخَلَهُ الشَّكُّ وَالارْتِيَابُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٤]؛ فَاشْتَرَطَ فِي صِدْقِ إِيمَانِهِم بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ كَوْنَهُم لَمْ يَرْتَابُوا، أَيْ: لَمْ يَشُكُّوا، فَأَمَّا المُرْتَاب فَهُوَ مِنَ المُنَافِقِينَ، الذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥]، فَلَا إِيْمَانَ لِمَنْ قَالَهَا شَاكًّا مُرْتَابًا، وَلَو قَالَهَا بِعَدَدِ الأنفَاسِ، وَلَو صَرَخَ بِهَا حَتَّىٰ يُسْمِعَ جَمِيعَ النَّاسِ.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لَا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا

إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَاشْتَرَطَ فِي دُخُولِ قَائِلِهَا الجَنَّةَ، أَنْ يَكُونَ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، غَيْرَ شَاكٍّ فِيهَا، وَإِذَا انْتَفَىٰ الشَّرْطُ انْتَفَىٰ المَشْرُوطُ، فَلَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ مُوقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَهَذَا هُوَ الشَّرْطُ الثَّانِي.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٧)، وأحمد (١٠٦٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣١).

الشَّرْطُ الثَّالِثُ: القَبُولُ

القَبُولُ لِمَا اقْتَضَتْهُ هَذِهِ الكَلِمَةُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، قَبُولًا يُنَافِي الرَّدَّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عِلَّةَ تَعْذِيبِهِم وَسَبَبَهُ اسْتِكْبَارَهُم عَن قَوْلِ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وَتَكْذِيبَهُم مَنْ جَاءَ بِهَا، فَلَم يَنْفُوا مَا نَفَتْهُ، وَلَم يُثْبِتُوا مَا أَثْبَتَتْهُ، بَل قَالُوا إِنْكَارًا وَاسْتِكْبَارًا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص:٥-٧]، وَقَالُوا هَاهُنَا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦]، فَكَذَّبَهُم اللهُ ﷻ، وَرَدَّ ذَلِكَ عَلَيهِم عَن رَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧] إِلَىٰ آخِرِ الآيَاتِ.

ثُمَّ قَالَ فِي شَأنِ مَنْ قَبِلَهَا: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الصافات:٤٠-٤٣] إِلَىٰ آخِرِ الآيَاتِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ، فَعَلِمَ، وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١). هَذَا جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ مُتَّفَقٍ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢)، ونصه: «عَنِ أَبِي مُوسَىٰ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ، أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ، وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

الشَّرْطُ الرَّابِعُ:
الانقِيَادُ وَالاسْتِسْلَامُ لِمَا دَلَّتْ عَلَيهِ

انقِيَادًا يُنَافِي التَّرْكَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

وَمَنْ لَم يُسْلِم وَجْهَهُ إِلَىٰ اللهِ، وَلَم يَكُ مُحْسِنًا فَإِنَّه لَم يَسْتَمْسِكْ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ، وَهُو المَعْنِيُّ بقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان:٢٣-٢٤].

﴿يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ﴾ أَيْ: يَنْقَادُ، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أَيْ: مُوَحِّدٌ، و﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾؛ ارْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَاسْتَسْلِمُوا لَهُ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٤].

* * *

الشَّرْطُ الخَامِسُ:
الصِّدْقُ الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ

وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مُصَدِّقًا بِهَا قَلْبُهُ فَيَتَواطَأُ عَلَىٰ ذَلِكَ القَلْبُ واللِّسَانُ، فَإِنْ قَالَهَا بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا قَلْبُهُ كَانَ مُنَافِقًا كَاذِبًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣].

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠]، فَكَذَّبَهُم اللهُ تَعَالَىٰ فِي قَولِهِم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، بِقَولِهِ: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الآيَةِ.

وَذَلِكَ لَمَّا اطَّلَعَ اللهُ عَلَىٰ مَا فِي قُلُوبِهِم مِن المَرَضِ، وَأَنَّهَا لَم تُواطِئ أَلْسِنَتَهُم، فَهُم شَرُّ الكُفَّارِ، وَمَأوَاهُم الدَّرْكُ الأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ».

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ»[١]. أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ -وَاللَّفْظُ لَهُ- وَمُسْلِمٌ، فَاشْتَرَطَ فِي إِنجَاءِ مَنْ قَالَ هَذِهِ الكَلِمَةَ مِن النَّارِ أَن يَقُولَهَا صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، فَلَا يَنْفَعُهُ مُجَرَّدُ التَّلَفُّظِ بِدُونَ مُوَاطَأَةِ القَلْبِ.

وَفِي حَدِيثِ الأَعْرَابِيِّ الَّذِي جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُ عَن أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، الَّتِي أَعظَمُهَا هَذِهِ الكَلِمَةُ، لَمَّا أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيرُهَا؟ قَالَ: **«لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ»**. قَالَ: وَاللهِ! لَا أَزِيدُ عَلَيهَا وَلَا أَنقُصُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»**[٢].

فَاشْتَرَطَ فِي فَلَاحِهِ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا، فَخَرَجَ بِذَلِكَ الكَاذِبُ المُنَافِقُ؛ فَإِنَّهُ لَا فَلَاحَ لَهُ أَبَدًا، بَل لَهُ الخَيْبَةُ وَالرَّدَىٰ، عِيَاذًا بِاللهِ مِن ذَلِكَ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١) من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

الشَّرْطُ السَّادِسُ: الإِخْلَاصُ الْمُنَافِي لِلشِّرْكِ، وَالنِّفَاقِ، وَالرِّيَاءِ، وَالسُّمْعَةِ

وَالإِخْلَاصُ تَصْفِيَةُ العَمَلِ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَن جَمِيعِ شَوَائِبِ الشِّرْكِ، قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر:١٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦].

فَجَعَلَ تَعَالَىٰ شَرْطَ كَونِهِم مَع المُؤْمِنِينَ أَن يُخلِصُوا دِينَهُم للهِ، فَمَنْ قَالَهَا ظَاهِرًا، وَلَم يَكُ مُخلِصًا فَلَيسَ هُو مَع المُؤمِنِينَ، بَلْ هُو مَعَ المُنَافِقِينَ الَّذِينَ هُم فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النَّارِ.

فَلَابُدَّ مِن الإِخْلَاصِ فِي «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: بِأَلَّا يَقْصِدَ بِقَولِهَا طَمَعًا مِن مَطَامِعِ الدُّنيَا، وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمعَةً.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»(١). رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَعَن عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»(٢). أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

الشَّرْطُ السَّابِعُ: الْمَحَبَّةُ

المَحَبَّةُ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ العَظِيمَةِ المُبَارَكَةِ، وَلِمَا اقْتَضَتْهُ وَدَلَّتْ عَلَيهِ، وَالمَحَبَّةُ لِأَهْلِهَا العَامِلِينَ بِهَا، المُلْتَزِمِينَ لِشُرُوطِهَا، مَعَ بُغْضِ مَا نَاقَضَ ذَلِكَ وَجَانَبَهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [المائدة:٥٤].

فَأَخبَرَنَا اللهُ ﷻ أَنَّ عِبَادَهُ المُؤمِنِينَ أَشَدُّ حُبًّا لَهُ؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُم لَم يُشْرِكُوا مَعه فِي مَحَبَّتِهِ أَحَدًا كَمَا فَعَلَ مُدَّعُو مَحَبَّتِهِ مِن المُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِّهِ.

وَعَلَامَةُ حُبِّ العَبدِ رَبَّهُ تَقْدِيمُ مَحَابِّهِ وَإِن خَالَفَتْ هَوَاهُ، وبُغْضُ مَا يُبغِضُ رَبُّهُ وَإِن مَالَ إِلَيهِ هَوَاهُ، وَمُوَالَاةُ مَنْ وَالَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُ، واتِّبَاعُ رَسُولِهِ ﷺ، وَاقْتِفَاءُ أَثَرِهِ، وَقَبُولُ هُدَاهُ.

وَكُلُّ هَذِهِ العَلَامَاتِ شُرُوطٌ فِي المَحَبَّةِ لَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ المَحَبَّةِ مَعَ عَدَمِ شَرْطٍ مِنهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية:٢٣].

فَكُلُّ مَنْ عَبَدَ مَعَ اللهِ غَيرَهُ فَهُو فِي الحَقِيقَةِ عَبْدٌ لِهَوَاهُ، بَلْ كُلُّ مَا عُصِيَ اللهُ بِهِ مِن الذُّنُوبِ فَسَبَبُهُ تَقْدِيمُ العَبْدِ هَوَاهُ عَلَىٰ أَوَامِرِ اللهِ وَنَوَاهِيهِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢]. فَوَصَفَ اللهُ ﷻ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُم أَشَدُّ حُبًّا لَهُ، وَأَنَّهُم يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ، وَأَنَّهُم لَا يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَو كَانُوا أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَمِن هَذَا يُؤخَذُ أَنَّه لَا يُوادُّ المُحَادِّين إِلَّا مَنْ هُو مِنهُم فِي الدِّينِ، بَل هُو مِن المُلْحِدِينَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ**

يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَأَهْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» يُحِبُّونَ اللهَ حُبًّا خَالِصًا، وَأَهْلُ الشِّرْكِ يُحِبُّونَ اللهَ وَيُحِبُّونَ مَعَهُ غَيرَهُ، وَهَذَا يُنَافِي مُقْتَضَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

الشَّرْطُ الثَّـامِنُ

* وَزَادَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ شَرْطًا ثَامِنًا: وَهُوَ الكُفْرُ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، مَعَ الإِيمَانِ بِاللهِ رَبًّا وَخَالِقًا وَمَعْبُودًا بِحَقٍّ:

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وَهُوَ النَّفْيُ وَالإِثْبَاتُ الذِي فِي الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَفِي دَعْوَةِ المُرْسَلِينَ، لِأَنَّ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ جَاءُوا بِالنَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٩].

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»[1]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

وَهَذِهِ الشُّرُوطُ الثَّمَانِيَةُ جُمِعَتْ فِي هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعْ ... مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالقَبُولِ لَهَا

وَزِيْدَ ثَامِنُهَا الكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا ... سِوَىٰ الإِلَهِ مِنَ الأَوْثَانِ قَدْ أُلِهَا

وَهُنَالِكَ شَرْطٌ لِمَنْ قَدَرَ، فَيَكُونُ شَرْطًا تَاسِعًا عِنْدَ القُدْرَةِ، وَعَلَيْهِ فَتَكُونُ الشُّرُوطُ تِسْعَةً، جُمِعَتْ فِي هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ:

شُرُوطُهَا لِمَنْ بِقُدْرَةٍ نَطَقْ ... عِلْمٌ يَقِينٌ وَانقِيَادٌ وَصَدَقْ

وَالحُبُّ وَالإِخْلَاصُ وَالقَبُولُ ... كُفْرٌ بِطَاغُوتٍ عِ مَا أَقُولُ

فَالشَّرْطُ التَّاسِعُ عَلَىٰ هَذَا: هُوَ النُّطْقُ بِهَا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ عِنْدَ الْمَوْتِ: «**قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**، فَأَبَىٰ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]»(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥).

فَهَذِهِ هِيَ شُرُوطُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، لَا تَنْفَعُ قَائِلَهَا شَيْئًا إِذَا أَخَلَّ بِشُرُوطِهَا، أَوْ أَخَلَّ بِوَاحِدٍ مِنْهَا، وَإِنَّمَا تَنْفَعُ مَنْ تَحَقَّقَ بِشُرُوطِهَا وَاجْتَنَبَ نَوَاقِضَهَا.

* * *

نَوَاقِضُ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»

النَّوَاقِضُ: جَمْعُ نَاقِضٍ، وَهِي المُبطِلَاتُ؛ مِثلُ نَوَاقِضِ الوضُوءِ، أي: مُبطِلَاتِهِ، تُسَمَّىٰ بِالنَّوَاقِضِ.

وَنَوَاقِضُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: هِي نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ، وَتُسَمَّىٰ بِأَسْبَابِ الرِّدَّةِ، أَو أَنْوَاعِ الرِّدَّةِ، وَمَعْرِفَتُهَا مِن الأهمِّيَّةِ بِمَكَانٍ لِيجتَنِبَهَا المُسْلِمُ، ويَحْذَرَ الوُقُوعَ فِيهَا.

وَالرِّدَّةُ عَنِ الإِسْلَامِ: الرُّجُوعُ عَنْهُ، مِن ارتدَّ، إِذَا رَجَعَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

وَهَذَا تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ للمُؤمِنِينَ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾، أَيُّها المُؤمِنُونَ، ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، وَلَم يَتُبْ قَبْلَ المَوتِ، وَيَرْجِعْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، فَقَدْ ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾؛ أي: بَطَلَتْ، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا

وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد:٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٤].

﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾: يَرْجِعْ عَن دِينِهِ.

وَفِي الآيَاتِ تَحْذِيرٌ مِنَ الرِّدَّةِ، وَوَعِيدٌ عَلَيهَا.

وَفِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٨٧٨)، وَمُسْلِمٌ (١٦٧٦)، مِن رِوَايَةِ عَبْد الله بن مَسعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلجَمَاعَةِ**».

وَأَخْرَجَ البُخَارِيُّ (٢٨٥٤) مِن رِوَايَةِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**».

فَإِنْ كَانَ المُرْتَدُّونَ جَمَاعَةً ذَوِي شَوْكَةٍ فَإِنَّهُم يُقَاتَلُونَ كَمَا قَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ المُرْتَدِّينَ، حَتَّىٰ أَخْضَعَهُم للإِسْلَامِ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنهُم عَلَىٰ رِدَّتِهِ، وَتَابَ مَنْ تَابَ مِنهُم.

وَإِن كَانَ المُرتَدُّ وَاحِدًا فَإِنَّه يُؤْخَذُ وَيُستَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، وَلَيْسَ

هُو مِثلَ الكَافِرِ الأَصْلِيِّ؛ لأنَّ المُرْتَدَّ عَرَفَ الحَقَّ، وَدَخَلَ فِي دِينِ اللهِ باخْتِيَارِهِ وَطَوْعِهِ، وَاعْتَرَفَ أنَّ الإِسْلَامَ هُو الحَقُّ، فَإِذَا ارْتَدَّ فَإِنَّه يُقْتَلُ حِمَايَةً للعَقِيدَةِ، وَهَذَا مِن حِفْظِ الضَّرُورِيَّاتِ الخَمْسِ وَأَوَّلُهَا الدِّينُ؛ فَلَا يُتْرَكُ الدِّينُ أُلْعُوبَةً لِمَنْ يُسْلِمُ ثُمَّ يَرتَدُّ، بَلْ يُقْتَلُ حِمَايَةً للدِّينِ مِن التَّلَاعُبِ بِهِ.

وَمِن المُرْتَدِّينَ مَنْ يُقْتَلُ بدُونِ استِتَابَةٍ، وَهُو مَنْ تَغَلَّظَتْ رِدَّتُهُ؛ فَإِنَّه يُقْتَلُ وَلَا يُستَتَابُ حِمَايَةً للدِّينِ، وَحِمَايَةً لأُولَىٰ الضَّرُورِيَّاتِ الخَمْسِ الَّتِي جَاءَ الإِسْلَامُ بحفظِهَا.

وَالمُرْتَدُّ: هُو الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ:

* إِمَّا لاعْتِقَادٍ بقَلْبِهِ.

* أَوْ شَكٍّ يَحْصُلُ لَهُ فِي أُمُورِ الدِّينِ.

* أَو فِعْلٍ: كَأَنْ يَسجُدَ لِغَيرِ اللهِ، أَو يَذْبَحَ لِغَيرِ اللهِ، أَو يَنْذِرَ لِغَيرِ اللهِ، هَذَا فِعْلُ مَنْ فَعَلَهُ فَقَد ارْتَدَّ.

* أَو قَولٍ: بِأَنْ يَتَكَلَّمَ بِسَبِّ اللهِ تَعَالَىٰ أَوْ سَبِّ الرَّسُولِ ﷺ، أَو سَبِّ دِينِ الإِسْلَامِ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فَالرِّدَّةُ تَكُونُ بِالقَولِ، وَتَكُونُ بِالفِعْلِ، وَتَكُون بِالاعتِقَادِ، وَتَكُونُ بِالشَّكِّ فِي شَيءٍ مِن أُمُورِ الدِّينِ، كَمَنْ شَكَّ فِي وُجُوبِ الصَّلَاةِ، أَو شَكَّ فِي وُجُوبِ

الزَّكَاةِ، أَوْ شَكَّ فِي التَّوحِيدِ، فَإِنَّه يَكْفُر، وَالشَّكُّ: هُو التَّردُّدُ بَينَ أَمْرَينِ.

وَنَوَاقِضُ الشَّهَادَتَينِ هِي نَوَاقِضُ الإِسْلَامِ؛ لأنَّ الشَّهَادَتَينِ هُمَا اللَّتَانِ يَدْخُل المَرءُ بالنُّطْقِ بِهِمَا فِي الإِسْلَامِ، وَالنُّطْقُ بِهِمَا اعتِرَافٌ بِمَدلُولِهِمَا، وَالتِزَامٌ بِالقِيَامِ بِمَا تَقتَضِيَانِهِ؛ مِن أَدَاءِ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ، فَإِذَا أَخَلَّ بِهَذَا الالتِزَامِ فَقَد نَقَضَ التَّعَهُّدَ الَّذِي تَعَهَّدَ بِهِ حِينَ نَطَقَ بِالشَّهَادَتَينِ.

* * *

النَّاقِضُ الأَوَّلُ: الشِّرْكُ بِاللهِ تَعَالَى

وَالمُرَادُ بِهِ: الشِّرْكُ الأَكْبَرُ المُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-، وَذَلِكَ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ، يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، أَوْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ، أَوْ يَسْتَغِيثُ بِهِمْ، أَوْ يَنْذِرُ لَهُمْ، أَوْ يَذْبَحُ بِاسْمِهِمْ، أَوْ يَعْتَقِدُ جَلْبَ النَّفْعِ، أَوْ دَفْعَ الضُّرِّ مِمَّنْ هُوَ دُونَ اللهِ، فَمَنْ أَتَىٰ بِذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وَالشِّرْكُ -أَخْطَرُ أَنْوَاعِ الرِّدَّةِ، وَهُو أَن يُعْبَدَ غَيرُ اللهِ بِأَيِّ نَوْعٍ مِن أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، كَالدُّعَاءِ، أَو الذَّبحِ، أَو بِالاستِغَاثَةِ بِغَيرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيهِ إِلَّا الله، وَكَدُعَاءِ غَيرِ اللهِ، وَالاستِعَانَةِ بِغَيرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقدِرُ عَلَيهِ إِلَّا اللهُ؛ فَمَنْ صَرَفَ شَيئًا مِن العِبَادَةِ لِغَيرِ اللهِ فَهُو مُشْرِكٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ كَثِيرًا مِن الرُّسُلِ عليهم السلام هُم: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعقُوبُ، وَدَاودُ، وَسُلَيمَانُ، وَأَيُّوبُ، وَيُونُسُ، وَيُوسفُ، وَمُوسَىٰ،

وَهَارُونُ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَىٰ، وَعِيسَىٰ، وَإِلْيَاسُ، وَاليَسَعُ، وَلُوطٌ، وَذَكَرَ تَعَالَىٰ أَنَّهُ هَدَاهُم إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

فَالشِّرْكُ بِاللهِ تَعَالَىٰ أَخْطَرُ الذُّنُوبِ، وَأَعْظَمُ الذُّنُوبِ.

وَالشِّرْكُ: هُو تَسوِيَةُ غَيرِ اللهِ باللهِ فِيمَا هُو مِن خَصَائِصِ اللهِ، وَهُو أَعْظَمُ ذَنبٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ، وَهَضْمٌ للرُّبُوبيَّةِ، وَتَنَقُّصٌ للأُلُوهِيَّةِ.

* * *

النَّاقضُ الثاني: مَنْ جَعَلَ بينه وبين اللهِ وسائطَ؛ يدعوهم، ويسألهم، ويتوكلُ عليهم، كَفَرَ إجماعًا

وَهَذَا نَوعٌ مِن النَّاقِضِ الأوَّلِ، وَإنَّمَا يُفْرَدُ ويُجْعَلُ نَوْعًا مُستَقِلًّا لِكَثْرَةِ وُقُوعِهِ، ومَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدعُوهُم لِكَشْفِ الضُّرِّ أَوْ جَلْبِ النَّفْعِ، أَو يَسْأَلُهُم الشَّفَاعَةَ فِي عَالَمِ البَرْزَخِ، أَو فِي حَالَةِ الغَيبَةِ، وَيَتَوكَّلُ عَلَيهِم؛ كَفَرَ إِجْمَاعًا بَيْنَ عُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئمَّةِ الهُدَىٰ مِنَ المُفَسِّرِينَ وَالمُحَدِّثِينَ وَالفُقَهَاءِ، وَالنَّهيُ عَن ذَلِكَ هُو دِينُ الأنبِيَاءِ جَمِيعًا.

قَالَ شَيْخُ الإسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ فِي بَيَانِ الإجْمَاعِ عَلَىٰ كُفْرِ مُتَّخِذِي الوَسَائِطِ عِندَ اللهِ: «مَنْ جَعَلَ المَلَائِكَةَ وَالأنبِيَاءَ وَسَائِطَ يَدْعُوهُم، وَيَسْأَلُهُم جَلْبَ المَنَافِعِ، وَسَدَّ الفَاقَاتِ، وَتَفْرِيجَ الكُرُبَاتِ، فَهُو كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨].

فَسَمَّاه شِرْكًا، مَع أَنَّهُم يُسمُّونَهُ تَشَفُّعًا، وَيَقُولُونَ: هَذَا لَيْسَ بِشِرْكٍ، الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأصْنَامِ، وَهَؤُلَاء مَا يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا.

وَهَذَا جَهْلٌ مَعِيبٌ، فَعِبَادَةُ الأَصْنَامِ نَوْعٌ مِن أَنْوَاعِ الشِّرْكِ، وَالشِّرْكُ هُو عِبَادَةُ غَيرِ اللهِ سَوَاءٌ كَانَ صَنَمًا أَو شَجَرًا أَو حَجَرًا أَو قَبْرًا أَو وَلِيًّا، أَو مَلَكًا مِن المَلَائِكَةِ، أَو صَالِحًا مِن الصَّالِحِينَ، هَذَا هُو الشِّرْكُ، وَلَيْسَ الشِّرْكُ عِبَادَةَ الأَصْنَامِ فَقَطْ.

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ: «كُلُّ مَنْ غَلَا فِي نَبِيٍّ أَو رَجُلٍ صَالِحٍ، وَجَعَلَ فِيهِ نَوْعًا مِن الإِلَهِيَّةِ، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: يَا سَيِدِي فُلَان انْصُرْنِي، أَو أَغِثْنِي، أَو ارزُقْنِي، أَو أَنَا فِي حَسْبِكَ، وَنَحو هَذِهِ الأَقوَالِ، فَكُلُّ هَذَا شِرْكٌ صَرِيحٌ وَضَلَالٌ يُستَتَابُ صَاحِبُهُ، وَإِلَّا قُتِلَ».

وَقَالَ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «وَمِن أَنْوَاعِ الشِّرْكِ: طَلَبُ الحَوَائِجِ مِنَ المَوْتَىٰ والاسْتِغَاثَةُ بِهِم، وَالتَّوجُّه إِلَيهِم، وَهَذَا أَصْلُ شِرْكِ العَالَمِ؛ فَإِنَّ المَيِّتَ قَد انقَطَعَ عَمَلُهُ وَهُو لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَضْلًا عَمَّن اسْتَغَاثَ بِهِ، وَسَأَلَهُ أَن يَشْفَعَ لَهُ إِلَىٰ اللهِ وَهَذَا مِن جَهْلِهِ بِالشَّافِعِ وَالمَشْفُوعِ عِنْدَهُ».

وَقَالَ الصَّنعَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ **فِي «تَطْهِير الاعتِقَاد»**: «مَنِ اعتَقَدَ فِي شَجَرٍ أَو حَجَرٍ أَو قَبْرٍ أَو مَلَكٍ أَو جِنِّيٍّ أَو حَيٍّ أَو مَيِّتٍ أَنَّه يَنْفَعُ أَو يَضُرُّ، أَو أَنَّهُ يُقَرِّبُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، أَو يَشْفَعُ عِنْدَهُ فِي حَاجَةٍ مِن حَوَائِجِ الدُّنْيَا بِمُجَرَّدِ التَّشَفُّعِ وَالتَّوَسلِ إِلَىٰ الرَبِّ تَعَالَىٰ، فَإِنَّهُ قَد أَشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيرَهُ، وَاعْتَقَدَ مَا لَا يَحِلُّ اعتِقَادُهُ، كَمَا اعتَقَدَ المُشرِكُونَ فِي الأَوْثَانِ».

النَّاقِضُ الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الكَافِرَ الذِي اتَّضَحَ كُفْرُهُ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

سَوَاءٌ كَانَ الكَافِرُ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ مَجُوسِيًّا أَوْ مُشْرِكًا أَوْ مُلْحِدًا ... أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الكُفْرِ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، فَمَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ كَفَرَ.

وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ كَفَّرَهُمْ، وَهَذَا الذِي لَمْ يُكَفِّرْهُمْ قَدْ ضَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَمْ يُكَفِّرْهُمْ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، فَيَكُونُ مُعْتَرِضًا عَلَىٰ اللهِ حِينَ كَفَّرَهُم.

فَيَجِبُ أَن يُكَفِّرَ المُسْلِمُ مَنْ كَفَّرَهُ اللهُ، وَمَنْ أَشْرَكَ باللهِ ﷻ، وَأَن يَتبَرَّأَ مِنْهُ كَمَا تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِن أَبِيهِ وَقَومِهِ، قَالَ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

أَو صَحَّحَ مَذْهَبَهُم: هَذِهِ أَشَدُّ، إِذَا صَحَّحَ مَذْهَبَهُم، أَوْ قَالَ: فِي الَّذِي يَعْمَلُونَهُ نَظَرٌ، هَذَا إِنَّما هُو اتِّخَاذُ وَسَائِلَ، أَوْ يَقُولُ: هَؤُلَاء جُهَّالٌ وَقَعُوا فِي هَذَا عَن جَهْلٍ، وَيُدَافِعُ عَنْهُم، فَهَذَا أَشَدُّ كُفْرًا مِنهُم؛ لأَنَّهُ صَحَّحَ الكُفْرَ، أَو صَحَّحَ الشِّرْكَ، أَو شَكَّ.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

وَ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ.

وَ«المُشْرِكُونَ»: هُمُ الذِينَ عَبَدُوا مَعَ اللهِ إِلَهًا وَمَعْبُودًا غَيْرَهُ.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠].

* * *

النَّاقِضُ الرَّابِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ هَدْيَ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ وَأَفْضَلُ، وَأَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ وَأَعْدَلُ

كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ، فَكُلُّ مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَجُوزُ الحُكْمُ بِغَيرِ شَرِيعَةِ اللهِ فِي المُعَامَلَاتِ، أَوِ الحُدُودِ، أَوْ غَيْرِهِمَا، وَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ حُكْمِ الشَّرِيعَةِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ بِذَلِكَ قَدِ اسْتَبَاحَ مَا حَرَّمَ اللهُ إِجْمَاعًا، فَقَدْ نَقَضَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَمَنْ رَأَىٰ أَنَّ إِنفَاذَ حُكْمِ اللهِ فِي قَطْعِ يَدِ السَّارِقِ، أَوْ رَجْمِ الزَّانِي المُحْصَنِ لَا يُنَاسِبُ العَصْرَ الحَاضِرَ؛ فَقَدْ نَقَضَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ الأَنْظِمَةَ التِي يَسُنُّهَا النَّاسُ أَفْضَلُ مِنْ شَرِيعَةِ الإِسْلَامِ، أَوْ أَنَّ أَحْكَامَ الإِسْلَامِ لَا يَصْلُحُ تَطْبِيقُهَا فِي هَذَا العَصْرِ، أَوْ أَنَّ الإِسْلَامَ كَانَ سَبَبًا فِي تَخَلُّفِ المُسْلِمِينَ، أَوْ يَقُولُ: إِنَّ الإِسْلَامَ مَحْصُورٌ فِي عَلَاقَةِ المَرْءِ بِرَبِّهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ حُكْمٌ فِي شُئُونِ الحَيَاةِ الأُخْرَىٰ؛ فَقَدْ نَقَضَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَكُلُّ مَنِ اسْتَبَاحَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ، مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ، كَالزِّنَا، وَالرِّبَا، وَالخَمْرِ ... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

تَحْكِيمُ شَرْعِ اللهِ عِبَادَةٌ للهِ، وَالقَصْدُ مِنهُ العِبَادَةُ بِتَحْكِيمِ شَرْعِ اللهِ، وَتَحْكِيمُ غَيرِهِ شِرْكٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ

سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

فَسَمَّاهُ شِرْكًا، فَالَّذِي يُسَوِّي بَينَ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ غَيرِهِ، وَيَقُولُ: هُمَا سَوَاءٌ؛ كَافِرٌ.

وَأَشَدُّ مِنهُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الحُكْمَ بِغَيرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ أَحْسَنُ مِن الحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؛ الَّذِي يَقُولُ: النَّاسُ لَا يَصْلُحُ لَهُم اليَوم إِلَّا هَذِهِ الأنظِمَة، لَا يَصْلُحُ لَهُم الشَّرْعُ، وَالشَّرْعُ لَا يُطَابِقُ هَذَا الزَّمَان، وَلَا يُسَايِرُ الحَضَارَةَ، وَلَابُدَّ مِن مُسَايَرَةِ العَالَمِ وَأَن تَكُونَ مَحَاكِمُ المُسْلِمِينَ كَمَحَاكِمِ العَالَمِ، هَذَا أَشَدُّ كُفْرًا.

أَمَّا إِذَا حَكَمَ بِغَيرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ لِهَوًى فِي نَفسِهِ، أَو جَهْلٍ بِمَا أَنْزَلَ الله، وَهُو يَعْتَقِدُ أَنَّ حُكْمَ اللهِ هُو الحَقُّ، وَهُو الوَاجِبُ، فَهَذَا فَعَلَ كَبِيرةً مِن كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَأَتَىٰ عَظِيمَةً مِن عَظَائِمِ الإِثْمِ، وَذَلِكَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَنْ جَحَدَ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ فَقَد كَفَرَ، وَمَن أَقَرَّ بِهِ وَلَم يَحْكُمْ، فَهُوَ ظَالِمٌ فَاسِقٌ».

قَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (١/ ٣٣٥-٣٣٦): «وَهَذَا تَأوِيلُ ابنِ عَبَّاسٍ وَعَامَّةِ الصَّحَابَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ، بَل إِذَا فَعَلَهُ؛ فَهُوَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بالله وَاليَومِ الآخِرِ».

* * *

النَّاقِضُ الخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَوْ عَمِلَ بِهِ فَقَدْ كَفَرَ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٨-٩].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٢٥-٢٨].

فَمِنْ شُرُوطِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: مَحَبَّتُهَا، وَمَحَبَّةُ مُقْتَضَاهَا، وَمَحَبَّةُ أَهْلِهَا، وَالعَامِلِينَ بِهَا، فَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِهَذَا الشَّرْطِ، فَقَدْ نَقَضَهُ، وَتَأَمَّلْ: وَلَوْ عَمِلَ بِهِ.

وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ لَهُ مُبْغِضٌ، وَهُوَ لَهُ كَارِهٌ، فَهَذَا كُفْرٌ بِاللهِ، وَهَذَا نَاقِضٌ مِنْ نَوَاقِضِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

فَبُغْضُ شَيءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ رِدَّةٌ، وَلَو عَمِلَ بِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾، وَالكَرَاهَةُ: البُغضُ، وَهَذَا رِدَّةٌ، وَلَو عَمِلَ بِمَا أَبْغَضَهُ، فَإِنَّه يَكْفُر، بُغْضُهُ فِي القَلْبِ كُفْرٌ، وَلَو كَانَ يَعْمَلُ بِهِ فِي الظَّاهِرِ.

* * *

النَّاقِضُ السَّادِسُ: الاستهزاء بالله أو الرسول أو بالقرآن أو بأي شعيرة من شعائر الإسلام

مَنِ اسْتَهْزَأَ بِاللهِ، أَوْ بِالرَّسُولِ، أَوْ بِالقُرْآنِ، أَوْ بِالدِّينِ، أَوْ بِالمَلَائِكَةِ، أَوْ بِالعُلَمَاءِ مِنْ أَجْلِ عِلْمِهِمْ، أَوِ اسْتَهْزَأَ بِأَيِّ شَعِيرَةٍ مِنْ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ، وَالطَّوَافِ بِالكَعْبَةِ، وَالوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، أَوِ اسْتَهْزَأَ بِالمَسَاجِدِ، أَوْ بِالأَذَانِ، أَوْ بِاللِّحْيَةِ، أَوْ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، فَهُوَ كَافِرٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فَالَّذِي يَستَهزِئُ بِشَيءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَرْضًا أَوْ وَاجِبًا أَو سُنَّةً فَإِنَّه يَكُون مُرْتَدًّا عَن دِينِ الإِسْلَامِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ

هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المطففين:٢٩-٣٦].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

* * *

النَّاقِضُ السَّابِعُ: السِّحْرُ

وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالعَطْفُ.

فَأَمَّا الصَّرْفُ: فَهُوَ عَمَلٌ سِحْرِيٌّ يُقْصَدُ مِنْهُ التَّسبُّبُ فِي مَنْعِ شَخْصٍ مِن فِعْلِ الخَيْرِ، أَو صَرْفِهِ عَن زَوْجَتِهِ.

وَأَمَّا العَطْفُ: فَهُوَ عَمَلٌ سِحْرِيٌّ يُقْصَدُ مِنْهُ التَّسبُّبُ فِي تَحْبِيبِ الرَّجُلِ أَو المَرْأَةِ إِلَىٰ الآخَرِ عَن طَرِيقِ السِّحْرِ.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»[1]. رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَابْنُ مَاجَه، وَأَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ،

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (٣٦٠٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١١٩)، وابن حبان في صحيحه (٦٠٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٩/ ٣٥٠) والحاكم (٤/ ٤٦٣) رقم (٨٢٩٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣١).

وَابْنُ حِبَّانَ، وَالبَيْهَقِيُّ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَوَافَقَهُمَا الأَلْبَانِيُّ.

وَ«**الرُّقَىٰ**» فِي هَذَا الحَدِيثِ هِيَ الرُّقَىٰ المَمْنُوعَةُ، وَهِيَ كُلُّ مَا فِيهِ استِعَاذَةٌ بِالجِنِّ، أَو لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهَا.

وَ«**التَّمَائِمُ**» جَمْعُ تَمِيمَةٍ؛ وَهِيَ خَرَزَاتٌ كَانَتِ العَرَبُ تُعَلِّقُهَا عَلَىٰ أَوْلَادِهَا يَتَّقُونَ بِهَا العَينَ بِزَعْمِهِم فَأَبْطَلَهَا الشَّرْعُ.

وَ«**التِّوَلَةُ**» بِكَسْرِ التَّاءِ وَفَتْحِ الوَاوِ، هِيَ ضَرْبٌ مِن السِّحْرِ، وَهُو الَّذِي يُحَبِّبُ المَرْأَةَ إِلَىٰ زَوْجِهَا وَيُهَيِّجُهَا.

وَالسِّحْرُ مُتَحَقِّقٌ وُجُودُهُ، وَتَأْثِيرُهُ مُصَادفةُ القَدَرِ الكَونِيِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢].

وَتَأْثِيرُ السِّحْرِ ثَابِتٌ لَا يُنكِرُه إِلَّا مُكَابِرٌ أَو كَافِرٌ بِمَا أُنزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَمَّا السَّاحِرُ: فَإِن كَانَ سِحْرُهُ مِمَّا يتلقَّىٰ عَن الشَّيَاطِينِ، كَمَا نَصَّت عَلَيْهِ آيَةُ البَقَرَة، فَهُو كَافِرٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢].

فَتَعَلُّمُ السِّحْرِ وَتَعْلِيمُهُ كُفْرٌ باللهِ ﷻ، وَهُو نَوْعٌ مِن أَنْوَاعِ الرِّدَّةِ، فَالسَّاحِرُ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا ثُمَّ سَحَرَ فَإِنَّهُ يَرْتَدُّ عَن دِينِ الإِسْلَامِ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

وَفِي السِّحْرِ استِخْدَامُ الشَّيَاطِينِ، وَالتَّعَلُّقُ بِهِم، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيهِم بِمَا يُحبُّونَهُ، وَفِيهِ دَعْوَىٰ عِلْمِ الغَيْبِ، وَدَعْوَىٰ مُشَارَكَةِ اللهِ فِي ذَلِكَ، وَهَذَا كُفْرٌ وَضَلَالٌ.

وَقَد قَرَنَ النَّبِيُّ ﷺ السِّحْرَ بِالشِّرْكِ، فَقَالَ ﷺ: «**اجتَنِبُوا السَّبعَ المُوبِقَاتِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ باللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**»[1].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٦١٥)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

النَّاقِضُ الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ

المُظَاهَرَةُ: مَعْنَاهَا: المُعَاوَنَةُ، وَمُظَاهَرَةُ المُشْرِكِينَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ: إِعَانَةُ الكُفَّارِ عَلَىٰ قِتَالِ المُسْلِمِينَ، وَأَذِيَّةِ المُسْلِمِينَ.

وَكَذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ الكُفَّارَ فَإِنَّهُ يَكْفُر، وَهَذَا هُو التَّوَلِّي ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]. يَتَولَّاهُم بِالمُنَاصَرَةِ، وَالمُعَاوَنَةِ، أَو يَتَولَّاهُم بِالمَحَبَّةِ، فَإِنَّهُ يَكْفُر؛ لأَنَّهُ أَحَبَّ الكُفْرَ وَأَحَبَّ الكُفَّارَ، فَيَكْفُر بِذَلِكَ، إِذَا أَحَبَّهُم مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَم يُنْكِرِ الكُفْرَ، وَمَنْ لَم يُنْكِرِ الكُفْرَ فَهُو كَافِرٌ.

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠٠-١٠١].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٩-١٥٠].

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة:١-٢].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣].

أَي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ باللهِ وَرَسُولِهِ، لَا تَتَخِذُوا الَّذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيهِم؛ لِكُفْرِهِم أَصْدَقَاءَ وَأَخِلَّاءَ.

﴿قَدْ يَئِسُوا﴾ مِن ثَوَابِ اللهِ فِي الآخِرَةِ، كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ المَقبُورُونَ مِن رَحْمَةِ اللهِ فِي الآخِرَةِ؛ حِينَ شَاهَدُوا حَقِيقَةَ الأَمْرِ، وَعَلِمُوا عِلْمَ اليَقِينِ أَنَّهُم لَا نَصِيبَ لَهُم مِنْهَا.

* * *

النَّاقِضُ التَّاسِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَى عليه السلام

مَنْ أَجَازَ لأَحَدٍ أَنْ يَخْرُجَ عَن شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ كَفَرَ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ كَافةً، وَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ عَلَىٰ العَالَمِينَ.

فَمَنْ لَم يَسْتَجِبْ للرَّسُولِ وَيَتَّبِعْ مَا جَاءَ بِهِ فَهُو كَافِرٌ، سَوَاءٌ أَكَانَ يَهُودِيًّا أَمْ نَصْرَانِيًّا أَمْ مَجُوسِيًّا، أَمْ عَلَىٰ أَيِّ مِلَّةٍ كَانَ؛ لأَنَّهُ بِبَعْثَتِهِ ﷺ أَوْجَبَ اللهُ طَاعَتَهُ وَاتِّبَاعَهُ، وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ اليَهُودِيَّةِ أَو النَّصْرَانِيَّةِ فَقَد نُسِخَ مَا هُو عَلَيهِ بِبَعْثَتِهِ ﷺ، فَلَا يَسَعُ أَحَدًا أَنْ يَخْرُجَ عَن طَاعَتِهِ.

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (١٥٣) مِن رِوَايَةِ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بي أَحَدٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَم يُؤْمِن بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ**».

وَأَمَّا خُرُوجُ الخَضِرِ عَن طَاعَةِ مُوسَىٰ عليه السلام؛ فَلأَنَّ مُوسَىٰ لَم يُرْسَلْ إِلَىٰ

الخَضِرِ؛ لأنَّ رِسَالَةَ مُوسَىٰ خَاصَّةٌ بِبَنِي إِسْرَائِيل، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف:٥]، فَرِسَالَةُ مُوسَىٰ ﷺ لِبَنِي إِسْرَائِيل، وَلَم تَكُن عَامَّةً لِجَمِيعِ النَّاسِ، وَقَد كَانَ الخَضِرُ عَلَىٰ عِبَادَةٍ للهِ تَعَالَىٰ، وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِيهِ: هَلْ هُو نَبِيٌّ، أَوْ رَجُلٌ صَالِحٌ؟ عَلَىٰ قَوْلَينِ.

وَالخَضِرُ لَم يَكُنْ مِن أُمَّةِ مُوسَىٰ عليه السلام؛ لأنَّ مُوسَىٰ لَم يُبْعَثْ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، فَلِذَلِكَ وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَن شَرِيعَةِ مُوسَىٰ.

وَأَمَّا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَإِنَّه مَبْعُوثٌ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، فَلَا يَسَعُ أَحَدًا الخُرُوجُ عَن شَرِيعَتِهِ، وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم يَصِلُونَ إِلَىٰ حَالَةٍ لَا يَكُونُونَ فِيهَا بِحَاجَةٍ إِلَىٰ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَأَنَّهُم يَأْخُذُونَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ مُبَاشَرةً، وَلَا يَأْخُذُونَ عَنِ الرَّسُولِ.

وَيَقُولُونَ: إنَّ الرُّسُلَ إِنَّما هُم للعَوَامِّ، أَمَّا الخَوَاصُّ فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ الرُّسُلِ، وَهُم لِذَلِكَ لَا يُصَلُّونَ، وَلَا يَصُومُونَ، وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ الشَّرِيعَةِ، بِزَعْمِ أَنَّهُم مِنَ الخَوَاصِّ، وَالشَّرِيعَةُ إِنَّمَا هِي للعَوَامِّ، وَهَذَا كُلُّهُ نَقْضٌ للكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وَخُرُوجٌ عَن دِينِ اللهِ ﷻ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

وَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:٢٨].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ مِن رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَىٰ الأَنبِيَاءِ بِستٍّ: أُعطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَنُصرتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَىٰ الخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**»(٢).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٢٣).

مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [المائدة:٨٣].

وَفِي الحَدِيثِ الذِي حَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ: «**وَاللهِ لَوْ كَانَ مُوسَىٰ حَيًّا لَمَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي**»(١).

* * *

(١) أخرجه أحمد (١٤٢٢٠)، وحسَّنه الألباني في مختصر العلو (ص٦٠)، وفي الإرواء (١٥٨٩).

النَّاقِضُ العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ

أي: لَا يَتَعَلَّمُهُ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.

فَالإِعْرَاضُ الذِي هُوَ نَاقِضٌ مِنْ نَوَاقِضِ الإِسْلَامِ: هُوَ الإِعْرَاضُ الكُلِّيُّ عَنْ تَعَلُّمِ أَصْلِ الدِّينِ الذِي بِهِ يَكُونُ المَرْءُ مُسْلِمًا، وَلَوْ كَانَ جَاهِلًا بِتَفَاصِيلِ الدِّينِ؛ لِأَنَّ العِلْمَ بِتَفَاصِيلِ الدِّينِ قَدْ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا العُلَمَاءُ وَطَلَبَةُ العِلْمِ، وَأَمَّا الإِعْرَاضُ عَنْ تَعَلُّمِ أَصْلِ الدِّينِ الذِي بِهِ يَكُونُ المَرْءُ مُسْلِمًا، فَهَذَا مِنْ نَوَاقِضِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه:٩٩-١٠١].

فَالإعْرَاضُ عَن دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ، لَا يَهْتَمُّ بِهِ، وَلَا يَتَعَلَّمُ، وَلَو تَعَلَّمَ لَا يَعْمَلُ، يُعْرِضُ عَن تَعَلُّمِ أَصْلِ الدِّينِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ المَرْءُ مُسْلِمًا، وَيُعرِضُ عَن العَمَلِ تَبَعًا، فَمَنْ أَعْرَضَ عَن دِينِ اللهِ تَعَالَىٰ لَا يَتَعَلَّمَهُ، وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيهِ، فَهُو مُرْتَدٌّ عَن دِينِ الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

أَعْرَضَ عَنْهَا بَعْدَمَا ذُكِّرَ بِهَا، أَمَّا مَنْ أَعْرَضَ كَسَلًا فَهَذَا لَا يَكْفُر، وَلَكِن يُلَامُ عَلَىٰ كَسَلِهِ، وَالإعْرَاضُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ عَدَمِ الرَّغْبَةِ فِي العِلْمِ، أَو كَرَاهِيَةِ العِلْمِ، هَذَا هُو الكُفْرُ باللهِ، وَالعِيَاذُ باللهِ.

فَهَذِهِ النَّوَاقِضُ العَشَرَةُ هِيَ نَوَاقِضُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، سَبَقَتْهَا شُرُوطُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَسَبَقَ الشُّرُوطَ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَتِلْكَ النَّوَاقِضُ تُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ، فَتُؤَدِّي إِلَىٰ النَّارِ وَبِئْسَ القَرَارِ.

قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّد بن عَبد الوَهَّاب فِي رِسَالَةِ «نَوَاقِض الإِسْلَام» (ص٣٥) **بِشَرْحِ الشَّيْخِ الفَوْزَان**: «وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الهَازِلِ وَالجَادِّ وَالخَائِفِ إِلَّا المُكْرَه، وَكُلُّهَا أَعْظَمُ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمِن أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا.

فَيَنْبَغِي للمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهُا وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ، نَعُوذُ باللهِ مِن مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ».

فَلَا فَرْقَ فِي هَذِهِ النَّوَاقِضِ العَشَرَةِ بَيْنَ الجادِّ: الَّذِي يَقْصِدُ مَا يَقُولُ أَو يَفعَلُ، وَالهَازِلِ: وَهُو الَّذِي لَا يَقْصِدُ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ هَذَا مِن بَابِ المَزحِ وَاللَّعِبِ.

وَفِي هَذَا رَدٌّ عَلَىٰ المُرْجِئَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا يَكْفُر حَتَّىٰ يَعْتَقِدَ بِقَلْبِهِ، لَا فَرْقَ بَينَ الجَادِّ وَالهَازِلِ، أَو الخَائِفِ عَلَىٰ جَاهِهِ وَمَالِهِ، إِلَّا المُكْرَه، إِذَا أُكِرهَ أَن يَقُولَ كَلِمَةَ الكُفْرِ، وَلَم يُمكنه التَّخَلُّصُ مِن الظُّلْمِ إِلَّا بِهَا، فَقَد رَخَّصَ اللهُ لَهُ فِي ذَلِكَ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦]، بِهَذَا الشَّرْطِ، وَيَكُونُ قَصْدُهُ دَفْعَ الإِكْرَاه فَقَط، إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ لَا يَعْتَقِدُ بِمَا يَتَلَفَّظُ بِهِ.

وَقَدْ قال العَلَّامَةُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّهُ لَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الهَازِلِ وَالجَادِّ وَالخَائِفِ عَلَىٰ مَالِهِ وَجَاهِهِ إِلَّا المُكْرَهَ، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطِرًا، وَأَكْثَرَ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا، وَيَخَافَ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْهَا»(١).

ودَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

فَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ تِلْكَ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الهَازِلِ، وَالجَادِّ، وَالخَائِفِ عَلَىٰ مَالِهِ وَجَاهِهِ ... إِلَّا المُكْرَهَ.

---

(١) انظر: مجموع فتاوىٰ العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، جمع الشويعر (١/ ١٣٢).

وَدَلِيلُ المُكْرَهِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل:١٠٦].

فَعَلَىٰ المُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْ يَخَافَهُ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الوُقُوعِ جِدًّا.

وَوَرَاءَ هَذِهِ النَّوَاقِضِ العَشَرَةِ نَوَاقِضُ أُخَرُ تَنْقُضُ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وَتَنْقُلُ عَنِ المِلَّةِ، وَلَن يَخْفَىٰ عَلَىٰ نَاظِرٍ -إِنْ شَاءَ الله- أَنَّهَا مِن النَّوَاقِضِ العَشَرَةِ السَّابِقَةِ بِسَبَبٍ، وَنَعُوذُ بالله تَعَالَىٰ مِن الزَّيغِ وَالضَّلَالِ.

وَمِن جَادَّةِ أَهلِ السُّنَّةِ: أَنَّهُم لَا يُنَزِّلُونَ الأَحكَامَ العَامَّةَ عَلَىٰ المُعَيَّنِينَ إِلَّا بِتَوَفُّرِ الشُّرُوطِ، وَانْتِفَاءِ المَوَانِعِ، وَإِقَامَةِ الحُجَّةِ.

وَأَهلُ السُّنَّةِ أَشَدُّ النَّاسِ تَوَقِّيًا مِن تَكفِيرٍ بِغَيرِ بُرهَانٍ مِنَ الله وَحُجَّةٍ، وَكَيفَ لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ وَهُم أَعظَمُ النَّاسِ حِرْصًا عَلَىٰ طَاعَةِ الله تَعَالَىٰ وَطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ.

عَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيه: يَا كَافِرُ؛ فَقَد بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِن كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**». [البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٩١)].

وَعَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ؛ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا**». [البخاري (٦١٠٣)].

وَالحُكْمُ عَلَىٰ المُسْلِمِ بِالكُفْرِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَكْبَرُ مِن قَتْلِهِ، وَهُوَ مِن طَرِيْقَةِ أَهلِ البِدَعِ وَالضَّلَالِ.

بيان فضائل (لا إلَهَ إلا الله) وفضائل الذكر بها

أَلَا إنَّ الشَّهَادَةَ عَلَىٰ الوَحْدَانِيَّةِ، أَجَلُّ شَهَادَةٍ عَلَىٰ أَجَلِّ مَشْهُودٍ عَلَيهِ، وَيَكْفِي فِي بَيَانِ فَضْلِ شَهَادَةِ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، أنَّ الله -جَلَّ وَعَلَا- شَهِدَ بِهَا لِنَفْسِهِ، وَاستَشْهَدَ عَلَيْهَا العُدُولَ مِن خَلْقِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

فَاستَشْهَدَ سُبْحَانَهُ بنَفْسِهِ وَهُو أَجَلُّ شَاهِدٍ، ثُمَّ بِخِيَارِ خَلْقِهِ وَهُم مَلَائكَتُهُ وَالعُلَمَاءُ مِن عِبَادِهِ، عَلَىٰ أَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ، وَأَعظَمِهِ، وَأكبَرِهِ، وَهُو شَهَادَةُ أنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُو.

وَالكَلِمَةُ الطَّيبَةُ، كَلِمَةُ التَّوحِيدِ، هِي خَيْرُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّونَ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا والنَّبِيُّونَ مِن قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُو عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**»(١).

(١) رواه الترمذي (٣٥٨٥)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٤).

وَ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَثْقَلُ مِن السَّمواتِ وَالأَرْضِ.

عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِن أَهلِ البَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٍ(١)، مَزْرُورَةٌ(٢) بِالدِّيبَاجِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُم هَذَا قَد وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابنِ فَارِسٍ، قَالَ: يُرِيدُ أَن يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابنِ رَاعٍ. قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: **أَلَا أَرَىٰ عَلَيْكَ لِبَاسَ مَن لَا يَعْقِلُ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ قَالَ لِابنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ:**

آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ:

آمُرُكَ بِـ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَو وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَو أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً(٣)، قَصَمَتْهُنَّ(٤) (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ.

وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ.

---

(١) سِيجَان: جمعُ ساج، وهو الطيلسانُ الأخضرُ.

(٢) مزرورة: مُزَرَّرة.

(٣) حلقة مبهمة: غير معلومَة المدخل والطرف.

(٤) قَصَمَتْهُنَّ: كسرتهن، وقطعتهن.

قَالَ: قُلْتُ: أَو قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الكِبْرُ؟

قَالَ: أَن يَكُونَ لأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟

قَالَ: **لَا**.

قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟

قَالَ: **لَا**.

قَالَ: الكِبْرُ هُوَ أَن يَكُونَ لأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَركَبُهَا؟

قَالَ: **لَا**.

قَالَ: أَفَهُوَ أَن يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: **لَا**.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَمَا الْكِبْرُ؟

قَالَ: **سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ**»[1].

و«**سَفَهُ الحقِّ**»: جَهلُهُ، والاستِخْفَافُ بِهِ.

و«**غَمْصُ النَّاسِ**»: احْتِقَارُهُم، وَالطَّعْنُ فِيهِم، وَالاستِخْفَافُ بِهِم.

وَقَد رَوَىٰ أَنَسٌ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ**

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦٥٨٣)، والبخاريُّ في الأدب المفرد (٥٤٨)، والبزار (٢٩٩٨، ٣٠٦٩)، وانظر: السلسلة الصحيحة (١٣٤).

مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا بْنَ آدَمَ، لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1].

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ فَضْلَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَفَضْلَ الذِّكْرِ بِهَا، مَعَ تَحْقِيقِهَا، وَالصِّدْقِ فِيهَا، وَالإِخْلَاصِ، مَعَ المَحَبَّةِ لَهَا، وَمُوَالَاةِ أَهْلِهَا.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَوَّلُ الوَاجِبَاتِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[2].

وَفِي رِوَايَةٍ: «**أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ**»[3].

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله: «وَقَد عُلِمَ بالاضْطِرَارِ مِن دِينِ الرَّسُولِ ﷺ، وَاتَّفَقَتْ عَلَيهِ الأُمَّةُ: أَنَّ أَصْلَ الإِسْلَامِ، وَأَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الخَلْقُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

فَبِذَلِكَ يَصِيرُ الكَافِرُ مُسْلِمًا، وَالعَدُوُّ وَلِيًّا، وَالمُبَاحُ دَمُهُ وَمَالُهُ مَعْصُومَ الدَّمِ وَالمَالِ.

ثُمَّ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِن قَلْبِهِ، فَقَد دَخَلَ فِي الإيمَانِ، وَإِن قَالَهُ بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، فَهُو فِي ظَاهِرِ الإِسْلَامِ دُونَ بَاطِنِ الإيمَانِ».

وَقَولُهُ ﷺ لِمُعَاذٍ رضي الله عنه: «**فَلْيَكُن أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، فِيهِ أَنَّهُ يَجِبُ الدُّعَاءُ إِلَىٰ الإيمَانِ باللهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ ﷺ، وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ، وَتَرْكِ الشِّرْكِ باللهِ تَعَالَىٰ، وَتَرْكِ مُخَالَفَتِهِ، وَهَذَا مِن أَعْظَمِ مُقْتَضَيَاتِ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَمَعْنَىٰ الدُّعَاءِ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: هُو الدُّعَاءُ إِلَىٰ مَا دَلَّت عَلَيهِ مِن التَّوْحِيدِ وَنَفي الشِّرْكِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالعِبَادَةِ والأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَجِبُ عَلَىٰ العَبدِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِفْرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالعِبَادَةِ، وَحُجَّتُهم عَلَىٰ ذَلِكَ أُمُورٌ: مِن أَهَمِّهَا قَولُ الرَّسُولِ ﷺ لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه لَمَّا أَرْسَلَهُ إِلَىٰ اليَمَنِ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِن أَهْلِ الكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيهِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** ...»[1] الحَدِيثَ.

فَإِفْرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالتَّوحِيدِ، وَالبَرَاءَةُ مِن الشِّرْكِ أَوَّلُ الوَاجِبَاتِ،

(١) أخرجه البخاري (١٣٣١)، ومسلم (١٩).

وَأَوْجَبُ التَّكلِيفَاتِ، وَأَفْرَضُ الفَرَائِضِ.

قَالَ العَلَّامَةُ ابنُ أَبي العِزِّ فِي «شَرْح الطَّحَاوِيَّة» (١/ ٥٩): «اعْلَمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ أَوَّلُ دَعْوةِ الرُّسُلِ، وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ يَقُومُ بِهِ السَّالِكُ إِلَىٰ اللهِ ﷻ ... وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَىٰ المُكَلَّفِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَا النَّظَرُ، وَلَا القَصْدُ إِلَىٰ النَّظَرِ، وَلَا الشَّكُّ، كَمَا هِي أَقْوَالٌ لأَرْبَابِ الكَلَامِ المَذْمُومِ».

وَالَّذِينَ قَالُوا: «إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ هُو النَّظَرُ»، هُم الأَشَاعِرةُ، ذَكَرَ ذَلِكَ البَاقِلَّانيُّ فِي «الإنصاف» (ص٢٢).

وَالَّذِين قَالُوا: «إِنَّهُ: القَصْدُ إِلَىٰ النَّظَرِ»، هُم الجوينيُّ وَمَنْ أَخَذَ بِقَولِهِ، ذَكَرَهُ فِي «الإرشاد» (ص٣).

وَأَمَّا القَولُ بِأَنَّهُ: «الشَّكُّ»، فَهُو مَذْهَبُ المُعْتَزِلَةِ، كَمَا قَرَّرَهُ القَاضِي عَبدُ الجَبَّارِ فِي «الأُصُول الخَمْسَة».

وَأَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ العَبْدُ الشَّهَادَتَانِ.

قَالَ ابنُ أَبي العِزِّ فِي «شَرْح الطَّحَاوِيَّة» (١/ ٦٠): «أَئِمَّةُ السَّلَفِ كُلُّهُم عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ العَبْدُ الشَّهَادَتَانِ».

فَأَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الإنسَانِ مَعْرِفَةُ مَعْنَىٰ هَذِهِ الكَلِمَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَبيِّهِ ﷺ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، أَي: فَاعْلَمْ -يَا مُحَمَّدُ- أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ

بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف:٨٦]، أَيْ: بـ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بِقُلُوبِهِم مَا شَهِدُوا بِهِ بِأَلْسِنَتِهِم.

فَأَفْرَضُ الفَرَائِضِ مَعْرِفَةُ مَعْنَىٰ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَالتَّلَفُّظُ بِهَا، وَالعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا، فَالإِلَهُ هُو المَعْبُودُ، وَالتَّأْلُهُ: التَّعَبُّدُ، وَمَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ): لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا الله، نَفَتِ الإِلَهِيَّةَ عَمَّن سِوَىٰ اللهِ، وَأَثْبَتَتهَا للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

وَإِفْرَادُ اللهِ سُبْحَانَهُ بِالعِبَادَةِ، وَنَفْيُهَا عَمَّن سِوَاهُ: هُو حَقِيقَةُ التَّوحِيدِ، وَهُو مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَ الصِّدْقِ فِيهَا:

فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**»[1].

تَضَمَّن الحَدِيثُ شَرْطَ الصِّدقِ المُنَافِي للكَذِبِ، مِن شُرُوطِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَهُو أَن يَقُولَهَا صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، يُوَاطِئُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ

(١) أخرجه البخاري (١٢٨).

﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:١-٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوهَا كَذِبًا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة:٨-١٠].

وَمِن لَوَازِمِ الصِّدْقِ فِي (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) نَفيُ الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَاهُ، وَإِثْبَاتُهَا لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ اتِّخَاذَهُ وَحْدَهُ إِلَهًا مَعْبُودًا، فَرْدًا صَمَدًا مَقْصُودًا، وَقَد يَدْخُلُ فِي الإِلَهِيَّةِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الصَّادِرَةِ عَن تَأَلُّهِ القَلْبِ للهِ بِالحُبِّ وَالخُضُوعِ وَالانقِيَادِ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَيَجِبُ إِفْرَادُ اللهِ تَعَالَىٰ بِهَا؛ كَالدُّعَاءِ، وَالخَوفِ، وَالمَحَبَّةِ، وَالتَّوكُّلِ، وَالإِنَابَةِ، والتَّوْبَةِ، وَالذَّبحِ، وَالنَّذرِ وَالسُّجُودِ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، فَيَجِبُ صَرْفُ جَمِيعِ ذَلِكَ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا مِن لَوَازِمِ الصِّدْقِ فِيهَا.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ صَاحِبَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مَعْصُومُ الدَّمِ وَالمَالِ:

فَعَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمَ الأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ»**[1]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٥).

وَقَد عَلَّقَ النَّبيُّ ﷺ عِصْمَةَ المَالِ وَالدَّمِ بِأَمْرَينِ:

الأَوَّلُ: قَولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَالثَّانِي: الكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ، فَلَمْ يَكْتَفِ بِاللَّفْظِ المُجَرَّدِ عَن المَعْنَىٰ، بَل لَابُدَّ مِن قَولِهَا وَالعَمَلِ بِهَا.

وَهَذَا مِن أَعْظَمِ مَا يبيِّنُ مَعْنَىٰ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَإِنَّهُ لَم يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا للدَّمِ وَالمَالِ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَع التَّلفُّظِ بِهَا، بَلْ وَلَا الإِقْرَارَ بِذَلِكَ، بَلْ وَلَا كَونَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَل لَا يَحْرُمُ دَمُهُ وَمَالُهُ حَتَّىٰ يُضِيفَ إِلَىٰ ذَلِكَ الكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ، فَإِنْ شَكَّ أَو تَرَدَّدَ لَم يَحْرُمْ مَالُهُ وَدَمُهُ.

وَقَدْ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ ذَلِكَ، فَلَابُدَّ فِي العِصْمَةِ مِن الإِتيَانِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالتِزَامِ أَحْكَامِهِ، وَتَرْكِ الشِّرْكِ.

فَالنُّطْقُ بِكَلِمَتَي الشَّهَادَةِ هُو دَلِيلُ عِصْمَةِ الدَّمِ وَالمَالِ، وَلَكِن بِشَرْطِ العَمَلِ، فَمَنْ نَطَقَ بِهِمَا رُفِعَ عَنهُ السِّلَاحُ ونُظِرَ عَمَلُهُ بِمُقتَضَاهَا، فَإِن تَرَكَ ذَلِكَ أَو فَعَلَ مَا يُضَادُّهُ حُكِمَ عَلَيهِ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِن العُقُوبَةِ.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ:

كَمَا فِي الصَّحِيحَينِ مِنْ رِوَايَةِ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[1].

قَولُهُ ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ»؛ أَي: مَنَعَ مِن النَّارِ، أَو مَنَعَ النَّارَ أَنْ تُصِيبَهُ.

وَقَولُهُ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ أَي: بِشَرْطِ الإِخْلَاصِ، بِدَلِيلِ قَولِهِ ﷺ: «يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»؛ أَي: يَطْلُبُ وَجْهَ اللهِ، ومَنْ طَلَبَ شَيئًا؛ فَلَابُدَّ أَنْ يَعْمَلَ كُلَّ مَا فِي وسْعِهِ للوصُولِ إِلَيهِ؛ لأَنَّ مُبْتَغِي الشَيءِ يَسْعَىٰ فِي الوصُولِ إِلَيهِ.

وَالحَدِيثُ وَاضِحُ الدَّلَالةِ عَلَىٰ شَرْطِيَّةِ العَمَلِ لِمَن قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا الله)، حَيثُ قَالَ ﷺ: «يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ».

وَفِيهِ رَدٌّ عَلَىٰ المُرْجِئَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: يَكْفِي قَولُهُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، دُونَ ابتِغَاءِ وَجْهِ اللهِ.

وَفِيهِ رَدٌّ عَلَىٰ الخَوَارِجِ وَالمُعْتَزِلَةِ؛ لأَنَّ ظَاهِرَ الحَدِيثِ أَنَّ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ المُحَرَّمَاتِ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، وَلَكِنَّه مُسْتَحِقٌّ للعُقُوبَةِ، وَهُم يَقُولُونَ: إِنَّ فَاعِلَ الكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: «إِنَّ المُبْتَغِي لَابُدَّ أَنْ يُكَمِّلَ وَسَائِلَ البُغيةِ، وَإِذَا أَكْمَلَهَا حُرِّمَت عَلَيه النَّارُ تَحْرِيمًا مُطْلَقًا، فَإِذَا أَتَىٰ بِالحَسَنَاتِ عَلَىٰ الوَجْهِ الأَكْمَلِ، فَإِنَّ النَّارَ تُحَرَّمُ عَلَيهِ تَحْرِيمًا مُطْلَقًا، وَإِن أَتَىٰ بِشَيءٍ نَاقِصٍ، فَإِنَّ

(١) تقدم تخريجه (ص٤١).

الابتِغَاءَ فِيهِ نَقصٌ، فَيَكُون تَحْرِيمُ النَّارِ عَلَيهِ فِيهِ نَقْصٌ، لَكِن يَمنعُهُ مَا مَعَهُ مِن التَّوحِيدِ مِن الخُلُودِ فِي النَّارِ، وَكَذَا مَنْ زَنَىٰ، أَو شَرِبَ الخَمْرَ، أَو سَرَقَ.

فَإِذَا فَعَلَ شَيئًا مِن ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ حِينَ فِعْلِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ، فَهُو كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ، فَضْلًا عَن أَنْ يَكُونَ مُبتَغِيًا وَجْهَ اللهِ.

وَمَنْ أَتَىٰ بِشَرْطِ العِلْمِ دَخَلَ الجَنَّةَ:

فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»**[1].

يَنْبَغِي أَن يَعْلَمَ الشَّاهِدُ بـ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مَعْنَاهَا.

وَهَذِهِ الكَلِمَةُ العَظِيمَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ الكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانِ باللهِ، فَإِنَّ مَنْ نَفَىٰ الإِلَهِيَّةَ، وَأَثْبَتَ الإِيجَابَ للهِ سُبْحَانَهُ، كَانَ مِمَّنْ كَفَرَ بِالطَّاغُوتِ وَآمَنَ باللهِ.

وَالإِلَهُ هُو المَعْبُودُ المُطَاعُ، وَهُو الَّذِي يُطَاعُ فَلَا يُعْصَىٰ هيبةً لَهُ وَإِجْلَالًا، وَمَحَبَّةً، وَخَوْفًا، وَرَجَاءً، وَتَوَكُّلًا عَلَيهِ، وَسُؤَالًا مِنْهُ، وَدُعَاءً لَهُ، وَلَا يَصْلُحُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا للهِ ﷻ.

فَمَنْ أَشْرَكَ مَخْلُوقًا فِي شَيءٍ مِن هَذِهِ الأُمُورِ الَّتِي هِي مِن خَصَائِصِ الأُلُوهِيَّة كَانَ ذَلِكَ قَدْحًا فِي قَولِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَنَقْصًا فِي تَوْحِيدِهِ، وَكَانَ

(١) تقدم تخريجه (ص٢٨-٢٩).

فِيهِ مِن عُبُودِيَّةِ المَخْلُوقِ بحَسَبِ مَا فِيهِ مِن ذَلِكَ، وَهَذَا كُلُّهُ مِن فُرُوعِ الشِّرْكِ.

وَعُبَّادُ القُبُورِ لَم يَعْرِفُوا مَعْنَىٰ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَلَا عَرَفُوا الإلَهِيَّةَ المَنْفِيَّةَ عَن غَيرِ اللهِ، الثَّابِتَة لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَلْ لَم يَعْرِفُوا مِن مَعْنَاهَا إلَّا مَا أَقَرَّ بِهِ المُؤْمِنُ وَالكَافِرُ، وَاجْتَمَعَ عَلَيهِ الخَلْقُ كُلُّهُم مِن أَنَّ مَعْنَاهَا: لَا قَادِرَ عَلَىٰ الاختِرَاعِ، أَو: لَا خَالِقَ إلَّا الله، وَأَنَّ مَعْنَىٰ «الإله»: هُو الغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ، الفَقِيرُ إلَيهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ، وَنَحوُ ذَلِكَ، فَهَذَا حَقٌّ، وَهُو مِن لَوَازِمِ الإلَهِيَّةِ، وَلَكِن لَيْسَ هُو المُرَادُ بِمَعْنَىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»، فَإِنَّ هَذَا القَدْرَ قَد عَرَفَهُ الكُفَّارُ وأَقَرُّوا بِهِ.

فَلَابُدَّ مِن مَعْرِفَةِ مَعْنَىٰ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»، وَالعَمَلِ بِمُقْتَضَىٰ ذَلِكَ، حَتَّىٰ تَنفَعَ قَائِلَهَا، وَيُنَجِّيَهُ اللهُ مِن النَّارِ.

وَمَنْ أَتَىٰ بِشَرْطِ الإِخْلَاصِ فَهُوَ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ القِيَامَةِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»(١).

وَمَنْ قَالَهَا، وَأَتَىٰ بِشَرْطِ اليَقِينِ فِيهَا فَقَدْ بَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالجَنَّةِ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤١).

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٤).

قَد مَرَّ الكَلَامُ عَن شَرْطَي «الإخْلَاص»، وَ«اليَقين» مِن شُرُوطِ «لَا إِلَهَ إِلَّا الله» فَلَابُدَّ مِن تَصْفِيَةِ العَمَلِ بصَالِحِ النِّيَّةِ عَن جَمِيعِ شَوَائِبِ الشِّرْكِ، وَلَابُدَّ مِن اليَقِين المُنَافِي للشَّكِّ؛ بأَن يَكُونَ قَائِلُهَا مُسْتَيقِنًا بمَدْلُولِهَا يَقِينًا جَازِمًا؛ لأنَّ الإيمَانَ لَا يُغْنِي فِيهِ إلَّا عِلْمُ اليَقِينِ، لَا عِلْمُ الظَّنِّ، فَكَيفَ إِذَا دَخَلَهُ الشَّكُّ؟!

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الإِيمَانِ:

كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً** -وَهَذِهِ رِوَايَةُ مُسْلِمٍ- **أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ** -هِيَ أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الإِيمَانِ- **وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[1].

فـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الإِيمَانِ.

وَمَنْ أَتَىٰ بِشَرْطِ الإِخْلَاصِ دَخَلَ الجَنَّةَ، كَمَا فِي حَدِيثِ البَزَّارِ الذِي صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[2].

«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَعَ الإِخْلَاصِ فِيهَا تُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّىٰ تُفْضِيَ إِلَىٰ العَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ قَائِلُهَا الكَبَائِرَ**، كَمَا فِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (١/ ١٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٣٣).

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّىٰ تُفْضِيَ إِلَىٰ الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»(١).

مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، كَمَا أَخْرَجَ ذَلِكَ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَشِّرِ النَّاسَ أَنَّه مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**»(٢).

«**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِن النَّارِ، وَمُقْتَضٍ لِذَلِكَ، وَلَكِنَّ المُقْتَضِي لَا يَعْمَلُ عَمَلَهُ إِلَّا باسْتِجْمَاعِ شُرُوطِهِ وَانتِفَاءِ مَوَانعِهِ، فَقَد يَتَخلَّفُ عَنهُ مُقتَضَاهُ لِفَوَاتِ شَرْطٍ مِن شُرُوطِهِ أَو لوُجُودِ مَانِعٍ؛ وَلِهَذَا قِيلَ للحَسَنِ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله» دَخَلَ الجَنَّةَ. فَقَالَ: مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله» فَأَدَّىٰ حَقَّهَا وفَرْضَهَا؛ دَخَلَ الجَنَّةَ.

وَقَالَ وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ لِمَنْ سَأَلَهُ: أَلَيسَ «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله**» مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنْ مَا مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا وَلَهُ أَسْنَانٌ، فَإِن جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وإِلَّا لَم يُفْتَحْ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابن تَيمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ فِي «مِنْهَاج السُّنَّة» (٦/ ٢٢٦): «مَنْ

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٨).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٦/ ٢٧٤) برقم (١٠٩٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٢٤).

قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله»؛ بِيَقِينٍ وَصِدقٍ تَامٍّ، فَإِنَّه لَا يَمُوتُ مُصِرًّا عَلَىٰ الذُّنُوبِ؛ إِمَّا لأَنَّه لَا يَكُونُ مُصِرًّا عَلَىٰ سَيئَةٍ أَصْلًا، أَو يَكُونُ تَوْحِيدُهُ المُتَضَمِّنُ لِصِدْقِهِ وَيَقِينِهِ رَجَّحَ حَسَنَاتِهِ.

وَالَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ مِمَّنْ يَقُولُهَا قَد فَاتَهُم أَحَدُ هَذِين الشَّرْطَين:

إِمَّا أَنَّهُم لَم يَقُولُوهَا بِالصِّدْقِ وَاليَقِينِ التَّامَّينِ المُنَافِيينِ للسَّيئَاتِ، أَو لرُجْحَانِ السَّيِّئَاتِ، أَو قَالُوهَا وَاكتَسَبُوا بَعْدَ ذَلِكَ سَيِّئَاتٍ رَجَحَتْ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِم، ثُمَّ ضَعُفَ لِذَلِكَ صِدْقُهُم وَيَقِينُهُم، ثُمَّ لَم يَقُولُوهَا بَعْد ذَلِكَ بِصِدْقٍ وَيَقِينٍ تَامٍّ؛ لأَنَّ الذُّنُوبَ قَد أَضْعَفَت ذَلِكَ الصِّدْقَ وَاليَقِينَ مِن قُلُوبِهِم، فَقَولُهَا مِن مِثْلِ هَؤُلَاءِ لَا يَقْوَىٰ عَلَىٰ مَحْوِ السَّيِّئَاتِ، بَلْ ترجحُ سَيِّئَاتُهم عَلَىٰ حَسَنَاتِهِم».

وَهِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ، كَمَا فِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ الذِي حَسَّنَهُ الأَلْبَانِّي، وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَابْنُ حِبَّانِ، وَالحَاكِمُ مِنْ رِوَايَةِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الحَمْدُ للهِ**»[1].

وَإِنَّمَا كَانَ أَفْضَلُ الذِّكرِ «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»: لأَنَّه لَا يَصِحُّ الإِيمَانُ إِلَّا بِهِ، وَلأَنَّ فِيهِ إِثْبَاتَ الإِلَهِيَّةِ للهِ تَعَالَىٰ، وَنَفْيَهَا عَمَّا عَدَاهُ، وَلَيْسَ ذَا فِي سِوَاهُ مِن الأَذْكَارِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، والنسائي في الكبرىٰ (٦/ ٢٠٨) برقم (١٠٦٦٧)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١/ ٦٧٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٢٦).

وَإِنَّمَا كَانَتْ أَفْضَلَ لأَنَّها كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، وَالتَّوْحِيدُ لَا يُمَاثِلُهُ شَيءٌ.

وَللتَّهْلِيلِ تَأْثِيرٌ فِي تَطْهِيرِ البَاطِنِ عَنِ الأَوْصَافِ الذَّمِيمَةِ، حَيثُ يَتَحَقَّقُ بِنَفي الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَىٰ اللهِ، وَإِثْبَاتِهَا للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَلأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ مَعْرِفَةَ شَهَادَةِ أَن «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله**» قَبْلَ فَرْضِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، فَالبَحْثُ عَن مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَعْظَمُ مِن وُجُوبِ البَحْثِ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ.

ولأَنَّ الله حَرَّمَ الشِّرْكَ والإيمَانَ بالطَّاغُوتِ أَعْظَمَ مِن تَحْرِيمِ نِكَاحِ الأُمَّهَاتِ وَالعَمَّاتِ، فَأَعْظَمُ مَرَاتِبِ الإيمَانِ باللهِ شَهَادَةُ أَنْ «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَن يَشْهَدَ العَبْدُ أَنَّ الإِلَهِيَّةَ كُلَّهَا للهِ لَيْسَ مِنْهَا شَيءٌ لِنَبِيٍّ، وَلَا لِمَلَكٍ، وَلَا لِوَلِيٍّ، بَلْ هِي حَقُّ اللهِ وَحْدَهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ.

فَكَلِمَةُ التَّوحِيدِ أَفْضَلُ الذِّكْرِ، وَأَفْضَلُ الحَسَنَاتِ، وَحُقَّ لَهَا، فَإِنَّها مِفْتَاحُ الإِسْلَامِ، بَل بَابُهُ الَّذِي لَا يُدْخَلُ إِلَيهِ إِلَّا مِنْهُ، وَهِي عِمَادُهُ الَّذِي لَا يَقُومُ بِغَيرِهِ، وَهِي الفُرْقَان بَيْنَ الإِسْلَامِ وَالكُفْرِ، وَبَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَهِي الكَلِمَةُ الَّتِي إِذَا مَاتَ العَبْدُ عَلَىٰ قَوْلِهَا، وَكَانَت خَاتِمَةَ كَلَامِهِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ عَاقِلًا مُخْتَارًا أَوْجَبَتْ لَهُ الجَنَّةَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا عَلَىٰ الأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»[1]. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٠)، وأحمد (٦٩٢٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٦).

وَقَدْ بَعَثَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ:

أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَد فِي المُسْنَدِ (١٦٠٢٣، ١٩٠٠٤) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَن رَبِيعَة بنِ عِبَادٍ الدِّيَلِيِّ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَرَ عَينِي بِسُوق ذِي المَجَازِ يَقُولُ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

وَأَخْرَجَ نَحوه (١٦٦٠١، ٢٣١٩٢) عَن شَيْخٍ مِن بَنِي مَالِكِ بنِ كِنَانَةَ.

وَأَخْرَجَ ابنُ حِبَّان فِي «مَوَارِد الظَّمآن» (١٦٨٣)، وَصَحَّحه الألبَانيُّ فِي «صَحِيح المَوَارِد» (١٤٠١)، عَن طَارِقِ بنِ عَبْدِ اللهِ المُحَارِبيِّ ﷺ، أَنَّهُ رَأَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي سُوقِ ذِي المَجَازِ، وَهُو يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**».

وَالحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابنُ خُزَيمَة فِي صَحِيحِهِ (١٥٩)، وَابنُ أَبِي شَيْبَة فِي المُصَنَّفِ (١٨٤١٤)، وَالبَيْهَقِيُّ (١/ ٧٦)، وَالبُخَارِيُّ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ العِبَادِ (١٤٩)، وَانظر: صَحِيحَ السِّيرةِ النَّبَوِيَّةِ للألبَانيِّ (ص١٤٢-١٤٣).

وَعَن عَبْدِ اللهِ بن عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُم؛ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُم عَلَىٰ اللهِ**» رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

وَقَد بُعِثَ بـ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» جَمِيعُ المُرْسَلِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا

فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل:٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ، حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم**»(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِن قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ**»(٢). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ ﷺ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ**

(١) أخرجه أحمد (٥٠٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٣١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٧٤).

الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ»[١]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وابنُ ماجه، وابن حِبَّان.

وَفِي الحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ للهِ تَعَالَىٰ اسْمًا أَعْظَمَ، إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَأَنَّهُ مَذْكُورٌ هَاهُنَا، وَالحَدِيثُ كُلُّهُ: كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، وَمَا دَلَّتْ عَلَيهِ، وَمَا اقْتَضَتْهُ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ عِظَمِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَجَلِيلِ قَدْرِهَا.

وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً»**[٢].

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَفْضَلُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ العَبْدُ عِنْدَ نُزُولِ الشَّدَائِدِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْخَزَائِنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ، كَمْ مِنْ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان (موارد- ٢٣٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٤٤).

=

وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو يَعْلَىٰ، وَابْنُ عَدِيٍّ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ، مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا، وَلَقِّنُوهَا مَوْتَاكُمْ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ. فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ؛ فَلْيَتَصَدَّقْ**»(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَرَوَىٰ البَزَّارُ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنْ دَهْرِهِ، يُصِيبُهُ**

=

صواحب الحجرات: صاحبات المنازل وهنَّ أمهات المؤمنين.

كاسية: أي: متنعمة بأنعام الله. **عارية**: أي: خالية من الحسنات.

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده (١١/ ٩) حديث رقم (٦١٤٧)، وابن عدي (٤/ ١٠٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٤٦٧).

والمراد بـ: (موتاكم): مَن حضره الموتُ؛ لأنَّه ما يزال في دار التكليف، وأما تلقينه بعد الموت فلا فائدةَ منه، وهي بدعةٌ لم تَرِدْ في السنة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٦٠)، ومسلم (١٦٤٧).

وفي «**حَلِفِهِ**»: أي: في يمينِهِ.

«**فليقل**»: فليتدارك نفسَهُ وليقل كلمةَ التوحيد، بعد أنْ بَدَرَ منه ما ظاهرُهُ الشرك.

«**أقامرك**»: ألعب معك القمار، وهو أن يتغالب اثنان فأكثر، في قولٍ أو فعلٍ، علىٰ أن يكون للغالبِ جُعْلٌ مُعَيَّنٌ من مالٍ ونحوِهِ، وهو حرامٌ بالإجماع.

«**فليتصدَّقْ**»: ليكفر ذنبَ ما تكلم به من المعصيةِ، فضلًا عن الفعلِ.

قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ»[١].

* وَيُسْتَحَبُّ تَكْرَارُهَا عِنْدَ المَوْتِ وَالشِّدَّةِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ فِي احْتِضَارِ الرَّسُولِ ﷺ: وَبَيْنَ يَدَيْهِ إِنَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ»[٢].

وَقَدْ رَوَىٰ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عِنْدَ المَوْتِ دَخَلَ الجَنَّةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ»[٣].

وَرَوَىٰ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ مُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»[٤].

---

(١) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (١/ ١٧)، والطبراني في الأوسط (٣٤٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٢٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٠٩) رقم (٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٩).

(٣) أخرجه ابن حبان (٧/ ٢٧٢) رقم (٣٠٠٤)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص١٩ - المعارف)، وفي صحيح الجامع (٥١٥٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٣١١٦)، وأحمد (٢١٥٢٩)، والحاكم (١/ ٥٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٩).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الأَنصَارِ فَقَالَ: «**يَا خَالُ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**. فَقَالَ: أَخَالٌ أَمْ عَمٌّ؟ قَالَ: **بَلْ خَالٌ**، قَالَ: فَخَيْرٌ لِي أَنْ أَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **نَعَمْ**»(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَىٰ، وَالبَزَّارُ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِندَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ ابْنِ المُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **أَمَا وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة:١١٣]»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَأَفْضَلُ الحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «**إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنَ الحَسَنَاتِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؟ قَالَ: **هِيَ أَفْضَلُ الحَسَنَاتِ**»(٣). رَوَاهُ أَحْمَدَ.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٢١٣٤)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٣٥١٢)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٠ - معارف).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٩٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٦٢).

وَرَوَىٰ ابْنُ مَاجه، وَالحَاكِمُ وَغَيْرُهُمَا، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ ﷻ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ؟ أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ. فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قال فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ**»[1].

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ فِي «المَدَارِج» (١/ ٣٣١):

«فَالأَعْمَالُ لَا تَتَفَاضَلُ بِصُورِهَا وعَدَدِهَا، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي القُلُوبِ، فَتَكُونُ صُورَةُ العَمَلِ وَاحِدَةً، وَبَيْنَهُمَا مِن التَّفَاضُلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ.

فَتَأَمَّلْ حَدِيثَ البِطَاقَةِ الَّتِي تُوْضَعُ فِي كِفَّةٍ، وَيُقَابِلُهَا تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدَّ البَصَرِ، فَتَثْقُلُ البِطَاقَةُ، وَتَطِيشُ السِّجِلَّاتُ، فَلَا يُعَذَّبُ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم (١/ ٧١٠) رقم (١٩٣٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مُوَحِّدٍ لَهُ هَذِهِ البِطَاقَةُ، وَكَثِيرٌ مِنْهُم يَدْخُلُ النَّارَ بِذُنُوبِهِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ**، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا**.

قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: «**الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا، فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ المَغَانِمَ؛ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ**»[1].

رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ: «قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ فَقَالَ ﷺ: **مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ. قَالَ: **وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ. قَالَ: **وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ. قَالَ: **وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ عَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**»[2]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٠).

وقال القاضي عياضٌ: قال بعضهم: المعروفُ المحفوظُ: «مِن بني إسماعيل»، وهو الذي يدلُّ عليه الحديثُ وسياقُهُ؛ لأنَّه إنَّما أرادَ العربَ، وهذه المدينةُ هي: القسطنطينيةُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيثِ قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا بِهَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، لَمْ يَدْعُ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ**»(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالحَاكِمُ، وَالضِّيَاءُ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الفَرَجِ»، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٢). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالبُخَارِيُّ فِي الأَدَبِ المُفْرَدِ، وَابْنُ حِبَّانَ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو عِنْدَ الكَرْبِ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمُ**»(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، وأحمد (١٤٦٥)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٤٩٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٨٤)، وأبو يعلىٰ في مسنده (٧٧٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، وأحمد (٢٧٨٩٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٠١)، وابن حبان في صحيحه (٩٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠).

كَلِمَاتٍ، إِذَا قُلْتَهُنَّ غَفَرَ اللهُ لَكَ، وَإِنْ كُنْتَ مَغْفُورًا لَكَ، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الحَكِيمُ الكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ»[١]. صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ أَوْ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»[٢]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ، فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤).

«فَيُبْلِغُ أو يُسْبِغُ»، هُمَا بمعنىٰ واحدٍ، أي: يتمُّهُ ويكمله فيوصله مواضعَهُ علىٰ الوجهِ المسنونِ.

(٣) أخرجه مسلم (٣٨٦).

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ، فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْزًىٰ**»[١]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ: التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ -أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ- مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟**»[٢]. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

«**مِنْ جَلَالِ اللهِ**»: بَيَانٌ للمَوصُولِ المَجْرُورِ.

و«**يَنْعَطِفْنَ**»: استِئنَافٌ لِبَيَانِ حَالِ التَّسْبِيحِ وَغَيرِهِ.

و«**دَوِيٌّ**»: هُو مَا يَظْهَرُ مِنَ الصَّوْتِ وَيُسْمَعُ عِنْدَ شِدَّتِهِ، وبُعْدِهِ فِي الهَوَاءِ، شَبِيهًا بِصَوْتِ النَّحْلِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ غِرَاسٍ هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا؟ تَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٢).

المَعْزُ: اسمُ جنسٍ لا واحدَ له من لفظه وهي ذواتُ الشَّعرِ من الغنمِ، والمِعْزَىٰ أَلِفُهَا للإلحاقِ لا للتأنيث؛ ولهذا ينوَّنُ في النكرة، ويُصَغَّرُ علىٰ مُعَيز، ولو كانت الألفُ للتأنيثِ لم تُحذف.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٦٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٧)، والحاكم (١/ ٦٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦١٣).

رَوَاهُ ابْنُ مَاجه وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»[(١)]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»[(٢)]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ؛ فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ مُقَدِّمَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ وَمُنْجِيَاتٍ، وَهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ**»[(٣)]. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَكَ**

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٦/ ٢١٢) برقم (١٠٦٨٤)، والحاكم (١/ ٧٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢١٤).

اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَإِنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَتْ كَالطَّابِعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ»(١). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

«**سُبْحَانَ اللهِ**»: مَعْنَاهَا تَنْزِيهُهُ تَعَالَىٰ عَن كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَنَابِهِ العَلِيِّ، وَهُو مَصْدَرٌ لِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ، أَي: أُسَبِّحُ اللهَ تَسْبِيحًا.

«**وَبِحَمْدِكَ**»: الوَاو للحَالِ، بِتَقْدِيرِ: وَأَنَا مُتَلَبِّسٌ بِحَمْدِكَ.

وَقِيلَ: للعَطْفِ، أَيْ: أُنَزِّهُكَ وَأَتَلَبَّسُ بِحَمْدِكَ.

وَقِيلَ: زَائِدَةٌ، أَيْ: أُسَبِّحُكَ مُتَلَبِّسًا بِحَمْدِكَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ. ثُمَّ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»(٢). أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ**

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٦/ ١١٢) برقم (١٠٢٥٧)، والحاكم (١/ ٧٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤).

اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَإِنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ كَانَتْ كَالطَّابِعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ»(١). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

«**سُبْحَانَ اللهِ**»: مَعْنَاهَا تَنْزِيهُهُ تَعَالَىٰ عَن كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَنَابِهِ العَلِيِّ، وَهُو مَصْدَرٌ لِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ، أَي: أُسَبِّحُ اللهَ تَسْبِيحًا.

«**وَبِحَمْدِكَ**»: الوَاو للحَالِ، بِتَقْدِيرِ: وَأَنَا مُتَلَبِّسٌ بِحَمْدِكَ.

وَقِيلَ: للعَطْفِ، أَيْ: أُنَزِّهُكَ وَأَتَلَبَّسُ بِحَمْدِكَ.

وَقِيلَ: زَائِدَةٌ، أَيْ: أُسَبِّحُكَ مُتَلَبِّسًا بِحَمْدِكَ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ. ثُمَّ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»(٢). أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ**

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرىٰ (٦/ ١١٢) برقم (١٠٢٥٧)، والحاكم (١/ ٧٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤).

كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»[١]. أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

«وَعِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ»: أَي مِثْلُ عِتْقِهَا، وَهُو أَي: «العِدْل»، بِفَتْحِ العَينِ وَكَسْرِهَا، بِمَعْنَىٰ المِثلِ.

وَ«الحِرْزُ»: الحفظُ والصَّوْنُ.

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مِرَارٍ؛ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»[٢]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي عَيَّاشٍ الزُّرَقِيِّ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ كَانَ لَهُ عِدْلَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَتْ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ بِهَا عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَإِذَا قَالَهَا إِذَا أَمْسَىٰ كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُصْبِحَ»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٧٧)، وابن ماجه (٣٨٦٧)، وأحمد (١٦١٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٨).

رَوَاهُ أَحمَدُ، وَأَبُو دَاودَ، وابنُ مَاجَه، وَصَحَّحَهُ الألبَانِيُّ.

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[1]. رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الوَابِل الصَّيِّب» (ص٨): «إِذَا أَرَادَ اللهُ بعَبْدِهِ خَيرًا فَتَحَ لَهُ مِن أَبْوَابِ التَّوبَةِ، وَالنَّدَمِ، وَالانْكِسَارِ، وَالذُّلِّ، والافتِقَارِ، والاستِعَانَةِ بِهِ، وَصِدْقِ اللُّجْأ إِلَيهِ، وَدَوَامِ التَّضَرُّعِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيهِ بِمَا أَمْكَنَ مِنَ الحَسَنَاتِ مَا تَكُون تِلْكَ السَّيْئَةُ بِهِ سَبَبَ رَحْمَتِهِ، حَتَّىٰ يَقُولَ عَدُوُّ اللهِ: يَا لَيْتَنِي تَرَكتُهُ وَلَم أُوْقِعْهُ.

وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ الذَّنْبَ يَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ، وَيَعْمَلُ الحَسَنَةَ يَدْخُلُ بِهَا النَّارَ.

قَالُوا: كَيْفَ؟

قَالَ: يَعْمَلُ الذَّنبَ فَلَا يَزَالُ نُصْبَ عَيْنَيهِ، خَائِفًا مِنهُ، مُشْفِقًا وَجِلًا، بَاكِيًا،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦).

نَادِمًا، مُسْتَحِيًا مِن رَبِّهِ تَعَالَىٰ، نَاكِسَ الرَّأسِ بَيْنَ يَدَيهِ، مُنْكَسِرَ القَلْبِ لَهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الذَّنبُ سَبَبَ سَعَادَةِ العَبْدِ وَفَلَاحِهِ، حَتَّىٰ يَكُونَ ذَلِكَ الذَّنبُ أَنفَعَ لَهُ مِن طَاعَاتٍ كَثِيرَة بِمَا تَرَتَّبَ عَلَيهِ مِن هَذِهِ الأُمُورِ الَّتِي بِهَا سَعَادَةُ العَبْدِ وَفَلَاحُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ ذَلِكَ الذَّنبُ سَبَبَ دُخُولِهِ الجَنَّةِ.

وَيَفْعَلُ الحَسَنَةَ فَلا يَزَالُ يَمُنُّ بِهَا عَلَىٰ رَبِّهِ، وَيَتَكَبَّرُ بِهَا، وَيَرَىٰ نَفْسَهُ، وَيُعْجَبُ بِهَا، وَيَستَطِيلُ بِهَا، وَيَقُولُ: فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ، فَيُورِثُهُ مِنَ العُجْبِ وَالكِبرِ، وَالفَخْرِ، والاسْتِطَالَةِ، مَا يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ.

فَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا المِسْكِينِ خَيْرًا ابتَلَاهُ بِأَمْرٍ يَكسِرُهُ بِهِ، وَيُذِلُّ بِهِ عُنُقَهُ، وَيُصغِّر بِهِ نَفْسَهُ عِنْدَهُ، وَإِنْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، خَلَّاه وعُجْبَهُ وَكِبْرَهُ، وَهَذَا هُو الخِذْلَانُ المُوجِبُ لِهَلَاكِهِ.

فَإِنَّ العَارِفِينَ كُلَّهُم مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أَنَّ التَّوْفِيقَ: أَلَّا يَكِلَكَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ نَفْسِكَ، وَالخِذْلَانَ: أَنْ يَكِلَكَ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ نَفْسِكَ.

فَمَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الذُّلِّ وَالانكِسَارِ، وَدَوَامِ اللُّجْأ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، والافتِقَارِ إِلَيهِ، وَرُؤيَةِ عُيُوبِ نَفْسِهِ وَجَهْلِهَا وَظُلْمِهَا وَعُدْوَانِهَا، وَمُشَاهَدَةِ فَضْلِ رَبِّه وَإِحْسَانِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَجُودِهِ، وَبرِّهِ، وَغِنَاهُ، وَحَمْدِهِ.

فَالعَارِفُ سَائِرٌ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بَيْنَ هَذَين الجَنَاحَينِ، لَا يُمْكِنُهُ أَن يَسِيرَ إِلَّا بِهِمَا، فَمَتَىٰ فَاتَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، فَهُو كَالطَّيرِ الَّذِي فَقَدَ أَحَدَ جَنَاحَيهِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام -إِسْمَاعِيلُ الهَرَوِيُّ-: العَارِفُ يَسِيرُ إِلَىٰ اللهِ بَينَ مُشَاهَدَةِ المِنَّةِ، وَمُطَالَعَةِ عَيْبِ النَّفْسِ وَالعَمَلِ.

وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيح، حَدِيثُ: «**سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**».

فَجَمَعَ فِي قَولِهِ ﷺ: «**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**»، بَيْنَ مُشَاهَدَةِ المِنَّةِ، وَمُطَالَعَةِ عَيْبِ النَّفْسِ وَالعَمَلِ.

فَمُشَاهَدَةُ المِنَّةِ تُوجِبُ لَهُ المَحَبَّةَ وَالحَمْدَ وَالشُّكرَ لِوَلِيِّ النِّعَمِ وَالإِحْسَانِ، وَمُطَالَعَةُ عَيْبِ النَّفْسِ وَالعَمَلِ تُوجِبُ لَهُ الذُّلَّ والانكِسَارَ، والافتِقَارَ، وَالتَّوبَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَأَلَّا يَرَىٰ نَفْسَهُ إِلَّا مُفْلِسًا.

وَأَقْرَبُ بَابٍ دَخَلَ مِنهُ العَبْدُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بَابُ الإِفْلَاسِ، فَلَا يَرَىٰ لِنَفْسِهِ حَالًا، وَلَا مَقَامًا، وَلَا سَبَبًا يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَلَا وَسِيلَةً مِنْهُ يَمُنُّ بِهَا، بَلْ يَدْخُلُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِن بَابِ الافتِقَارِ الصِّرْفِ، وَالإِفْلَاسِ المَحْضِ، دُخُولَ مَنْ قَد كَسَرَ الفَقرُ وَالمَسْكَنَةُ قَلبَهُ حَتَّىٰ وَصَلَتْ تِلْكَ الكَسْرَةُ إِلَىٰ سُوَيدَائِهِ فَانْصَدَعَ، وَشَملَتْهُ الكسرَةُ مِن كُلِّ جِهَاتِهِ، وَشَهِدَ ضَرُورتَهُ إِلَىٰ رَبِّهِ ﷻ، وَكَمَالَ فَاقَتِهِ وَفَقْرِهِ إِلَيهِ، وَأَنَّ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِن ذَرَّاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ فَاقَةً تَامَّةً، وَضَرُورَةً كَامِلَةً إِلَىٰ رَبِّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وَأَنَّهُ إِن تَخَلَّىٰ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ هَلَكَ، وَخَسِرَ

خَسَارَةً لَا تُجْبَرُ، إِلَّا أَنْ يَعُودَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيهِ وَيَتَدَارَكَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا طَرِيقَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَقْرَبُ مِن العُبُودِيَّةِ، وَلَا حِجَابَ أَغْلَظُ مِنَ الدَّعْوَىٰ.

وَالعُبُودِيَّةُ مَدَارُهَا عَلَىٰ قَاعِدَتَينِ هُمَا أَصْلُهَا: حُبٌّ كَامِلٌ، وَذُلٌّ تَامٌّ.

وَمَنْشَأُ هَذَينِ الأَصْلَينِ عَن ذَيْنِكَ الأَصْلَين المُتَقَدِّمَين، وَهُمَا مُشَاهَدَةُ المِنَّةِ الَّتِي تُورِثُ المَحَبَّةَ، وَمُطَالَعَةُ عَيْبِ النَّفْسِ وَالعَمَلِ الَّتِي تُورِثُ الذُّلَّ التَّامَّ، وَإِذَا كَانَ العَبدُ قَد بَنَىٰ سُلُوكَهُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذَينِ الأَصْلَين لَم يَظْفَرْ عَدوُّهُ بِهِ إِلَّا عَلَىٰ غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ، وَمَا أَسْرَعَ مَا يُنعشه اللهُ ﷻ وَيجبُرُهُ وَيَتَدَارَكُهُ بِرَحْمَتِهِ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَأوِي إِلَىٰ فِرَاشِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، سُبحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، واللهُ أَكبَرُ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ أَو خَطَايَاهُ** -شَكَّ مِسْعَرٌ- **وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»[1]. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ حِبَّان وَاللَّفْظُ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَن أَبِيه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ**

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٢٠٢) برقم (١٠٦٤٧)، وابن حبان (٥٥٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٠٧).

دَرَجَةٍ، وَبَنَىٰ لَهُ بَيتًا فِي الجَنَّةِ»[١]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ، وَابْنُ مَاجَه، وَأَحْمَدُ، وَالحَاكِمُ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيتُ، قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، قَالَ: قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»[٢]. رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّان، وَالحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ اليَمَنِ، فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ»[٣]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَاللَّفْظُ لِلبُخَارِيِّ.

فِي الحَدِيثِ بَيَانُ طَرِيقَةِ الرُّسُلِ، وَأَنَّهم أَوَّلَ مَا يَبْدَءُونَ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٢٨)، وابن ماجه (٢٢٣٥)، وأحمد (٣٢٩)، والحاكم (١/ ٧٢١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٣١).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧)، الترمذي (٣٣٩٢)، وأحمد (٧٩٠١)، وابن حبان (٩٦٢)، والحاكم (١/ ٦٩٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ لأنَّها الأصْلُ وَالأسَاسُ الَّذِي يُبْنَىٰ عَلَيهِ الدِّينُ، فَإِذَا تَحَقَّقَتْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّه يُمْكِن البِنَاءُ عَلَيهَا بالأمُورِ الأُخْرَىٰ.

أَمَّا إِذَا لَم تُحَقَّق شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَلَا فَائِدَةَ مِن بَقِيَّةِ الأمُورِ، فَلَا تَأمُرِ النَّاسَ بِالصَّلَاةِ وَعِنْدَهُم شِرْكٌ، وَلَا تَأْمُرْهُم بِالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَصِلَةِ الأرْحَامِ وَكَذَا وَكَذَا وَهُم يُشْرِكُونَ باللهِ؛ لأنَّكَ لَم تَضَعِ الأسَاسَ أَوَّلًا.

وَهَذَا بِخِلَافِ كَثِيرٍ مِن دُعَاةِ اليَومِ الَّذِينَ لَا يَهْتَمُّونَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِنَّمَا يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَىٰ تَرْكِ الرِّبَا، وَإِلَىٰ المُعَامَلَاتِ الحَسَنَةِ، وَإِلَىٰ الحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ الله، وَلَكِنَّ التَّوحِيدَ لَا يَذكُرُونَهُ، وَلَا يَلْتَفِتُونَ لَهُ، وَكَأَنَّهُ لَيْسَ مَفْرُوضًا.

وَهَؤُلَاء مَهْمَا أَتْعَبُوا أَنْفُسَهُم فَإِنَّ عَمَلَهُم لَا يَنْفَع، حَتَّىٰ يُحَقِّقُوا الأصْلَ والأسَاسَ الَّذِي تُبنَىٰ عَلَيهِ أُمُورُ الدِّينِ: مِن حَاكِمِيَّةٍ، وَمِن صَلَاةٍ، وَمِن زَكَاةٍ، وَمِن حَجٍّ، هَذَا مَنْهَجُ الأنبِيَاءِ.

فَكُلُّ رَسُولٍ أَوَّلَ مَا يَبْدَأ بِالدَّعْوَةِ، يَبْدَأ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوحِيدِ، وَإِلَىٰ تَصْحِيحِ العَقِيدَةِ، ثُمَّ بَعْد ذَلِكَ يَأمُرُهُم بِبَقِيَّةِ أَوَامِرِ الدِّينِ، فَلَو فَرَضْنَا أنَّ المُجْتَمَعَ صَارَ بَعِيدًا عَنِ الرِّبَا، وَيُحَافِظُ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، وَتَمْتَلِئ المَسَاجِدُ، وَكُلُّ الأعمَالِ تُعْمَل، لَكِن لَيْسَ هُنَاكَ إِخْلَاصٌ فِي التَّوحِيدِ، فَهُم يَدْعُونَ غَيرَ اللهِ، يَدْعُونَ الأنبِيَاءَ وَالأولِيَاءَ وَالصَّالِحِين وَالقُبُور ... فَلَا فَائِدَةَ فِي أَعْمَالِهِم، هَؤُلَاء لَيْسُوا مُسْلِمِينَ، مَهْمَا صَلَّوا وَصَامُوا. [مِن شَرْحِ الشيخ الفَوزَان عَلَىٰ كِتَابِ «التَّوحِيد»، «إعانة المستفيد» (ص٩٩)].

وَعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَخٍ بَخٍ، خَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّىٰ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ»(١). رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ حِبَّان، وَالحَاكِمُ عَنْ أَبِي سُلْمَىٰ ﷺ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٢).

وَعَن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لله، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ قُبِلَتْ

(١) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (١٠/ ١٠١).
وأخرجه النسائي في الكبرىٰ (٦/ ٥٠) برقم (٩٩٩٥)، وابن حبان (٨٣٣)، والحاكم (١/ ٦٩٢).
وأخرجه أحمد (١٥٢٣٥).
وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨١٧).
(٢) أخرجه مسلم (٥٩٧).

صَلَاتُهُ»[1]. رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وَهَذَا إِعْرَابُ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

«**لَا**»: نَافِيَةٌ للجِنْسِ، تَعْمَلُ عَمَلَ «إِنَّ»، فَتَنْصِبُ الاسْمَ، وَتَرْفَعُ الخَبَرَ.

«**إِلَهَ**»: اسْمُ «لَا»، مَبْنِيٌّ عَلَىٰ الفَتْحِ، فِي مَحَلِّ نَصْبٍ.

وَخَبَرُ «لَا» مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ «حَقٌّ» مَرْفُوعٌ، وَعَلَامَةُ رَفْعِهِ الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ فِي آخِرِهِ.

«**إِلَّا**»: أَدَاةُ استِثْنَاءٍ مُلْغَاةٌ؛ لأَنَّ الكَلَامَ تَامٌّ مَنْفِيٌّ.

«**اللهُ**»: لَفْظُ الجَلَالَةِ بَدَلٌ مِن الخَبَرِ المَحْذُوفِ، وَبَدَلُ المَرْفُوعِ مَرْفُوعٌ، وَعَلَامَةُ رَفْعِهِ الضَّمَّةُ الظَّاهِرَةُ فِي آخِرِه.

فـ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: «لَا»، نَافِيَةٌ للجِنْسِ، وَالإِلَهُ: هُو المَأْلُوهُ بِالعِبَادَةِ، وَهُو الَّذِي تَأْلَهُهُ القُلُوبُ وَتَقْصِدُهُ رَغْبَةً إِلَيهِ فِي حُصُولِ نَفْعٍ أَو دَفْعِ ضُرٍّ، فَكُلُّ مَعْبُودٍ مَأْلُوهٌ بِالعِبَادَةِ.

وَخَبَرُ «لَا» المَرْفُوعُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: «حَقٌّ».

وَ«**إِلَّا اللهُ**»: استِثْنَاءٌ مِنَ الخَبَرِ المَرْفُوعِ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ هُو الحَقُّ، وَعِبَادَتُهُ وَحْدَهُ هِي الحَقُّ، وَعِبَادَةُ غَيْرِهِ مُنْتَفِيَةٌ بـ «لَا» فِي هَذِهِ الكَلِمَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٤).

وَ«تَعَارَّ»: انتبه وَهُو يسبِّحُ أَو يستغفرُ أو يذكرُ اللهَ تعالىٰ بأيِّ ذكرٍ.

بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج:٦٢].

وَفِي الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، نَفيٌ وَاستِثْنَاءٌ، وَهَذَا حَصْرٌ وَقَصْرٌ، فَجَاءَتْ «لَا» نَافِيَةً، وَجَاءَتْ «إِلَّا» مُثبِتَةً؛ لِيَكُونَ ثَمَّ حَصْرٌ وَقَصْرٌ لاستِحْقَاقِهِ سُبْحَانَهُ للعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَالأَحَادِيثُ كَثِيرةٌ فِي فَضْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَعَظِيمِ قَدْرِهَا عِندَ اللهِ، فَعَلَينَا أَن نَلهَجَ بِهَا دَائِمًا وَأَبَدًا، عَسَىٰ أَن يُقِيمَنَا اللهُ عَلَيهَا، وَأَن يُجَنِّبَنَا الوقُوعَ فِي نَوَاقِضِهَا، وَأَن يُحَصِّلَ لَنَا فِي قُلُوبِنَا وَأَلسِنَتِنَا وَجَوَارِحِنَا وَحَيَاتِنَا شُرُوطَهَا وَمُوجِبَاتِهَا، وَأَن يَجْعَلَنَا مِن العَامِلِينَ بِهَا، المُحِبِّينَ لِأَهلِهَا، المُوَالِينَ لَهُم، المُبْغِضِينَ لِمَن عَادَاهَا وَأَبغَضَهَا، المُحَارِبِينَ لَهُ، حَتَّىٰ نَلْقَىٰ وَجْهَ اللهِ الكَرِيمِ.

وَنَسْأَلُ اللهُ -جَلَّ وَعَلَا- بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ المُثْلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ آخِرَ كَلَامِنَا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَأَنْ يَقْبِضَنَا عَلَيْهَا، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ أَهْلِهَا، وَأَنْ يَجْمَعَنَا مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَىٰ مِنَ الجَنَّةِ.

فَأَكْثِرُوا مِنَ الذِّكْرِ بِهَا فَهِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ وَأَحْسَنُهُ، وَهِيَ خَيْرُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِهِ، وَاحْذَرُوا التَّحْرِيفَ فِيهَا نُطْقًا، وَعَدَمَ تَحْصِيلِ شُرُوطِهَا.

وَاحْذَرُوا أَنْ يَقَعَ الوَاحِدُ مِنْكُمْ فِي نَاقِضٍ مِنْ نَوَاقِضِهَا، وَالُوا عَلَيْهَا وَعَادُوا، فَهِيَ أَصْلُ الدِّينِ، وَهِيَ أَسَاسُ المِلَّةِ، وَلِأَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتْ سُوقُ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ بَيْنَ

جُنْدِ الرَّحْمَنِ وَجُنْدِ الشَّيْطَانِ، وَلِأَجْلِهَا يُقِيمُ اللهُ القِيَامَةَ، وَيَبْعَثُ الخَلَائِقَ، وَمِنْ أَجْلِهَا تُنْصَبُ المَوَازِينُ وَتَتَطَايَرُ الصُّحُفِ، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ مِنْ أَمَامَ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

فَأَكْثِرُوا مِنَ الذِّكْرِ بِهَا عِبَادَ اللهِ، وتَمَسَّكُوا بِهَا، عَسَىٰ اللهُ أَنْ يَقْبِضَنَا عَلَيْهَا؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ المُثْلَىٰ أَن يُحَقِّقَ لَنَا التَّوحِيدَ، وَأَن يُحَقِّقَنَا بِهِ، وَأَن يُنعِمَ عَلَينَا بالإِقَامَةِ عَلَيهِ، حَتَّىٰ يَتَوفَّانَا غَير مُبَدِّلِينَ وَلَا مُغَيِّرين؛ إِنَّه عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ أَبَويهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَعَلَىٰ سَائِرِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وآخرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وكتب

أبو عبد الله

محمد بن سعيد بن رسلان

-عفا الله عنه وعن والديه-

سُبك الأحد - الخميس

٢٥ من جمادىٰ الآخرة ١٤٣٠هـ

١٨ من يونيه ٢٠٠٩م

الفهرس

فهرس الموضوعات

* المقدمة ٥
* بين يدي الكتاب ٩
* معنىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ١٤
* شروط «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ٢٠
تفسير أهل وحدة الوجود لكلمة التوحيد ٢٢
تفسير علماء الكلام لكلمة التوحيد ٢٣
تفسير الجهمية والمعتزلة لكلمة التوحيد ٢٤
تفسير الحزبيين من القطبيين والإخوانيين لكلمة التوحيد ٢٤
تفسير أهل السنة والجماعة لكلمة التوحيد ٢٤
دلالة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» علىٰ توحيد الألوهية ٢٥
دلالة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» علىٰ توحيد الربوبية ٢٥
دلالة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» علىٰ توحيد الأسماء والصفات ٢٦

الشَّرطُ الأَوَّلُ مِن شُرُوطِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: العِلْمُ ٢٨

الشَّرْطُ الثَّانِي: اليَقِينُ الْمُنَافِي لِلشَّكِّ ٣٣

الشَّرْطُ الثالِثُ: القَبُولُ ٣٥

الشَّرْطُ الرَّابِعُ: الانقِيَادُ وَالاسْتِسْلاَمُ لِمَا دَلَّتْ عَلَيهِ ٣٧

الشَّرْطُ الخَامِسُ: الصِّدْقُ الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ ٣٨

الشَّرْطُ السَّادِسُ: الإِخْلاَصُ الْمُنَافِي لِلشِّرْكِ، وَالنِّفَاقِ، وَالرِّيَاءِ،

وَالسُّمْعَةِ ٤٠

الشَّرْطُ السَّابِعُ: الْمَحَبَّةُ ٤٢

الشَّرْطُ الثامِنُ: الكُفْرُ بِكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، مَعَ الإِيمَانِ بِاللهِ رَبًّا

وَخَالِقًا وَمَعْبُودًا بِحَقٍّ ٤٥

الشَّرْطُ التَّاسِعُ: النُّطْقُ بِهَا ٤٨

* نَوَاقِضُ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» ٤٨

النَّاقِضُ الأَوَّلُ: الشِّرْكُ بِاللهِ تَعَالَىٰ ٥٢

النَّاقِضُ الثاني: مَنْ جَعَلَ بينه وبين اللهِ وسائِطَ؛ يدعوهم، ويسألهم،

ويتوكلُ عليهم، كَفَرَ إجماعًا ٥٤

النَّاقِضُ الثالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الكَافِرَ الذِي اتَّضَحَ كُفْرُهُ فِي القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ٥٦

النَّاقِضُ الرَّابِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ هَدْيَ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ وَأَفْضَلُ، وَأَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ وَأَعْدَلُ ٥٨

النَّاقِضُ الخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَوْ عَمِلَ بِهِ فَقَدْ كَفَرَ ٦١

النَّاقِضُ السَّادِسُ: الاستهزاء بالله أو الرسول أو بالقرآن أو بأي شعيرة من شعائر الإسلام ٦٣

النَّاقِضُ السَّابِعُ: السِّحْرُ ٦٥

النَّاقِضُ الثامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ ٦٨

النَّاقِضُ التَّاسِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عليه السلام ٧٠

النَّاقِضُ العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ ٧٤

* بيان فضائل «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» وفضائل الذكر بها ٧٨

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَوَّلُ الوَاجِبَاتِ ٨١

فَضْلَ الصِّدْقِ فِي «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ٨٤
صَاحِبُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مَعْصُومُ الدَّمِ وَالمَالِ..... ٨٥
حَرَّمَ اللهُ ﷻ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ ٨٦
ومَنْ أَتَىٰ بِشَرْطِ الإِخْلَاصِ فِي «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فَهُوَ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ
النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ القِيَامَةِ ٨٩
«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الإِيمَانِ..... ٩٠
مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ... ٩١
بَعَثَ اللهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ ٩٤
«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَفْضَلُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ العَبْدُ عِنْدَ نُزُولِ الشَّدَائِدِ ٩٦
يُسْتَحَبُّ تَكْرَارُهَا عِنْدَ المَوْتِ وَالشِّدَّةِ ٩٨
وَأَفْضَلُ الحَسَنَاتِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ٩٩
العُبُودِيَّةُ مَدَارُهَا عَلَىٰ قَاعِدَتَينِ هُمَا أَصْلُهَا: حُبٌّ كَامِلٌ، وَذُلٌّ تَامٌّ.... ١١١
إِذَا لَم تُحَقَّقْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَلَا فَائِدَةَ مِن بَقِيَّةِ الأُمُورِ..... ١١٣
إِعْرَابُ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ١١٥
* الفهرس ١٢١